السبت 30 كانون الثاني 2021
العدد 4259 السنة الخامسة عشرة
Samedi 30 Janvier 2021 nº 4259 15ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

كمال خير بك
شاعر الخيارات الصعبة

الإمارات تُطلق سراح عدد من المُعتقلين اللبنانيين

حرب البيانات تُعقّد تأليف الحكومة [2]

ربع ما نأكله ملوّث جرثومياً [6]

(أ ف ب)

المشهد السياسي

الإمارات تُطلق سراح عدد من المُعتقلين اللبنانيين

حرب البيانات تُعقّد تأليف الحكومة

إعلان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون زيارته للبنان يُعدّ الخرق الوحيد في المشهد السياسي المُتّجه إلى المزيد من التعقيد. خرقٌ يبقى «حذراً» طالما أنّ المعطيات الأخرى لتأليف الحكومة لم تشهد أي تعديل إيجابي، ولا سيّما العلاقة بين الرئيس ميشال عون والرئيس المُكلّف سعد الحريري. لا يزال الرجلان يتبادلان الاتهامات عبر البيانات، من دون أن تنجح أي وساطة أو مبادرة أو مسعى لإعادة قليل من الثقة إلى علاقتهما

خلال الشهرين الماضيين، ارتفعت أعداد اللبنانيين المُقيمين في الإمارات الذين جرى توقيفهم، من دون وجود «دليل» بحقّهم أو «ملفّ». جرت الاعتقالات في سياق الضغوط السياسية والأمنية التي تُمارسها الإمارات على لبنان، بالتزامن مع إعلان الاتفاق الاستراتيجي بينها وبين «إسرائيل»، فكان الاستهداف من الخاصرة التي تعدّها الإمارات «رخوة»: التعاون مع حزب الله. مجموعة من اللبنانيين اعتُقلت من داخل أحد ملاعب كرة القدم، و«التهمة» كانت تداول فيديوات على تطبيق «واتساب» للأمين العام لحزب الله السيّد حسن نصر الله! لا رقم مُحدّداً للبنانيين الذين جرى اعتقالهم ومحاولة «تركيب ملفّ» لهم، فالإمارات عتّمت في هذه الموجة من الاعتقالات على الموضوع، بالإضافة إلى غياب المتابعة الرسمية والجدية من جانب الدولة اللبنانية، ممثلة بسفارة لبنان في أبو ظبي، إلى أن جرت متابعة الملفّ من قِبل الأمن العام، بعد تواصل الأهالي مع اللواء عباس إبراهيم. تُفيد المعلومات بأنّ بعض اللبنانيين اعتُقلوا وأُطلق سراحهم من دون أن تُعرف قضيتهم.

> **أُبلغت عائلات موقوفين بأن أبناءهم سيعودون في غضون ساعات**

ليلة أمس، كشف المدير العام للأمن العام أنّ عدد المعتقلين وصل إلى 30، من دون أن يوضح ما إذا كان الرقم يُعبّر عن العدد الإجمالي للمُعتقلين حالياً، أو لكل الذين اعتُقلوا في الفترة الماضية. وقال إبراهيم في مقابلة مع قناة «الحرّة»، أمس، إنّه بعد ساعات (فجر اليوم) «قرابة نصفهم سيعودون إلى لبنان»، مُضيفاً إنّه يتواصل منذ سنتين مع مسؤولين إماراتيين «لحلحلة هذه الملفّات». وبحسب المعلومات، فإنّ عائلات 11 من الموقوفين تبلغوا إطلاق سراح أبنائهم، وهم من الذين لم يُحكم عليهم، أي أنّ المُعتقلين أحمد صبح وحسين بردى وعبد الرحمن شومان وعلي المبدر وعبد الله هاني عبد الله وأحمد مكاوي المحكومين بالإعدام، ليسوا من بين الذين سيُطلق سراحهم. ملفّ اللبنانيين الستة مُعقّد ولم يجد طريقه إلى الحلّ بعد، مع التضييق المُستمر عليهم من جانب السلطات الإماراتية، التي منعت منذ قرابة الشهر أي اتصال مباشر بينهم وبين عائلاتهم.

الخرق الإيجابي في ملفّ «معتقلي الإمارات»، لم ينسحب على المشاورات لتأليف الحكومة الجديدة، على الرغم من إشاعة أجواء عن قُرب صدور التشكيلة. الفريق الذي يُشيع هذه المعلومات يتحدّث عن ضغوط تُمارسها فرنسا لإيجاد حلّ، وقد فعّلت قنوات التواصل مع الجانب الأميركي لإقناعه بضرورة تأليف حكومة لبنان، «وقد سُجّل كلام مُتقدّم بينهما». يُحاول هذا الفريق أن يوحي بتجدّد «زخم المبادرة الفرنسية، هذه المرّة بالتنسيق مع الإدارة الأميركية». وقد تزامنت هذه المعطيات مع إعلان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون لقناة «العربية» أمس زيارته للبنان، من دون أن يكشف عن التاريخ. وقال ماكرون إنّ «خريطة الطريق الفرنسية للبنان لا تزال مطروحة على الطاولة، وليس هناك حلول أخرى متاحة لحلّ الأزمة اللبنانية غير الخطة الفرنسية». رئيس فرنسا الذي يتخبّط بأزمات داخلية عديدة، صحية واقتصادية وسياسية واجتماعية، «وعد» بأنّه سيفعل «كلّ ما باستطاعته للمساعدة في تأليف الحكومة»، برئاسة سعد الحريري.

لكنّ ماكرون غرق في تضارب أقواله. من جهة، يُريد إنعاش المُبادرة التي أطلقها في الـ 2020 بحضور كل من: حزب الله، التيار الوطني الحر، تيار المستقبل، القوات اللبنانية، حزب الكتائب، تيار المردة، الحزب التقدمي الاشتراكي، حركة أمل، أي الأحزاب السياسية الأساسية التي سيطرت على المشهد السياسي في الثلاثين سنة الماضية، مع تفاوت أنغماسها في الإدارة وتولّيها مسؤوليات تنفيذية. اتفق معها على خريطة طريق لإنعاش النظام القائم، وشكل الحكومة الجديدة، وغيرها من العناوين السياسية. وفي الوقت نفسه، أعطى ماكرون لنفسه حقّ وصف النظام اللبناني بأنّه في «مأزق بسبب الحلف الشيطاني بين الفساد والترهيب».

إعلان ماكرون زيارته للبنان، وتسريب معطيات عن اقتراب تأليف الحكومة، لا يجدان أرضية حاضنة في الداخل اللبناني. السجال بين رئاسة الجمهورية والرئيس المُكلّف سعد الحريري يتصاعد يومياً، مع تعمّق اللاثقة بينهما، وعدم رغبة أحدهما في التعاون مع الآخر. يعتمد الفريقان سياسة «عضّ الأصابع» بانتظار من يصرخ أولاً، فيما البلاد في حالة انهيار عامّ، وأمام خطر انفلات الوضع أمنياً. فبعد كلام الرئيس ميشال عون الذي نشرته «الأخبار» أمس، عن رؤيته لتعقيدات تأليف الحكومة، والمداولات بينه وبين الحريري، ردّ الأخير عبر بيان مُعتبراً أنّ من «المؤسف والمؤلم جدّاً أن يصدر الكلام المنقول عن رئيس الجمهورية فيما البلاد تواجه سيلاً من الأزمات وتشهد العاصمة الثانية طرابلس هجمة مُنظمة تُثير الريبة في أكثر من اتجاه»، واصفاً كلام الرئيس بأنّه «تجنٍّ على الآخرين... مواقف وروايات غير صحيحة، لا تستوي مع مكانة الرئاسة ومسؤولياتها الوطنية في هذه الظروف الصعبة». نفى الحريري أن يكون قد أبلغ عون أنّ رئيس الحكومة وحده من يُؤلّف الحكومة، فالأخير «يجري الاستشارات النيابية لتأليف الحكومة ويوقّع مراسيم التشكيل بالاتفاق مع رئيس الجمهورية... وخلاف ذلك تفسيرات غب الطلب». وأضاف: «غاب عن فخامته أن الحل الذي اعتمد لوزارة المال جرى بالتوافق ولم يقع الاعتراض عليه من قصر بعبدا، بدليل أن الورقة التي سلّمني إياها لاحظت تخصيص وزارة المال للشيعة، أما الثلث المعطل فله كما يعلم شأن آخر يقودنا إلى ورقة توزيع الحقائب على الطوائف وممثلي القوى السياسية، وهي ورقة تشكل خرقاً تاماً لمبدأ تأليف حكومة من أهل الاختصاص، وتستدرج التشكيلة تلقائياً إلى خانة الثلث المعطل». استخدم الحريري في ردّه العبارة نفسها التي قالها رئيس الجمهورية عنه: «لم أعد أفهم عليه»، مُضيفاً بأنّه راهن على «فتح صفحة جديدة تنقل البلاد إلى مساحات من المصالحة والإنجاز والإنقاذ الاقتصادي، وهو أقدم على مغامرة انتخاب العماد عون رئيساً، مُدركاً أهمية التأسيس لمرحلة جديدة لا تحكمها سياسات الإنكار والتعطيل، غير أنّ الرياح جرت مع الأسف بما لا تشتهي النيات الطيبة وإرادة العيش المشترك والجهد المطلوب لوقف استنزاف الدولة في حلبات الطوائف». أما بالنسبة إلى ما كشفه عون عن أنّ الحريري أبلغه ضرورة «نسيان» التدقيق الجنائي حتى تحصل الحكومة على ثقة كتلتَي حركة أمل والتقدمي الاشتراكي في المجلس النيابي، فأشار الحريري إلى «أنّ فخامة الرئيس نسي أو تناسى أن مجلس النواب أقرّ التحقيق الجنائي في 20 كانون الأول ووافقت عليه كتلة المستقبل إلى جانب كتلتَي الرئيس نبيه بري والوزير وليد جنبلاط، وربّما نسي فخامته أو تناسى أيضاً أنه كان أول من بادر إلى الإشادة بقرار مجلس النواب. وفي الحالتين يكون: إن تناسى مصيبة، وإن نسي فالمصيبة أعظم». من جهته، ردّ مكتب الإعلام في رئاسة الجمهورية على بيان الحريري، مُعتبراً أنّه «احتوى على ردود مغلوطة ومعلومات في غير موقعها الحقيقي. وحرصاً على عدم الدخول في سجال لا طائل منه، نكتفي بالإشارة إلى أنّ الرئيس المكلّف من خلال ما جاء في ردّه، مصمّم على التفرّد بتأليف الحكومة، رافضاً الأخذ بملاحظات رئيس الجمهورية التي تُجسّد الشراكة في تأليف الحكومة، استناداً إلى المادة 53 من الدستور. وهذه النقطة الأساس في كلّ ما يدور من ملابسات حول تأليف الحكومة». وختم البيان بأنّه «لن تكون هناك حكومة تناقض الشراكة والميثاقية والعيش المشترك الحقيقي، المبني على التوازن الوطني وحماية مرتكزاته».

(الأخبار)

برّي: لا ثقة بحكومة بلا تحقيق جنائي

أوضح رئيس مجلس النواب نبيه برّي ردّاً على السجال الدائر بين رئيس الجمهورية ميشال عون والرئيس المكلف سعد الحريري («الأخبار»، الجمعة 29 كانون الثاني) حيال التحقيق الجنائي: «لن أمنح أيّ حكومة الثقة ما لم يكن في صلبها التحقيق الجنائي. كنت قلت سابقاً في جلسة مجلس النواب أنني مع إجراء تحقيق جنائي وأن يشمل حسابات كلّ مؤسسات الدولة، وزارات وإدارات وصناديق ومصرف لبنان، وقلت ولا أزال أقول أنّ أول ما يجب أن يبدأ به التحقيق الجنائي هو وزارة الطاقة».

(هيثم الموسوي)

ابراهيم الأمين

في أنّ طرابلس اليوم... مخطوفة!

قبل أكثر من سنة، يوم اشتعل لبنان احتجاجات متنوعة الأهداف، كانت طرابلس حاضرة بقوة في المشهد. لكنّ أحداً لم يكن يقدر على الإمساك بخيوط اللعبة هناك. الجميع شاركوا في الاحتفال. سياسيون ورجال دين، زعماء وفقراء، أحزاب عريقة وأخرى مستجدة، جمعيات مدنية وسفارات عربية وإقليمية ودولية، أجهزة أمنية وجيوش محلية وإقليمية ودولية، فنانون وإعلاميون وناشطون من مختلف الأجناس... مضى وقت طويل، وصورة الاحتفال الليلي تحتل الشاشات. لكن، ثمة من قرر أن بيروت تحتاج إلى «عضلات» الطرابلسيين. فكانت الحافلات تنقل ما تيسّر يومياً لمقارعة «شباب النظام» أو «جماعة الثورة المضادة». وهكذا، سارت الأمور حتى اختفى الجميع من المشهد. لا أحد يعرف لماذا اختفت الحافزية والحماسة والقدرة والتنظيم. لا أحد يعرف كيف ولماذا ولأيّ سبب انفضّ القوم، علماً بأن لا تغيير واحداً حصل. لا الأحوال الاقتصادية تحسّنت، ولا السلطة استقالت، ولا النظام سقط بيد الثوار، ولا الفقر هرب من تلك الأحياء، ولا الزعماء باعوا قصورهم وبنوا مكانها مصانع، ولا ميشال عون سقط ولا سلاح حزب الله نزع... بل عاد سعد الحريري ليؤلّف الحكومة! طوال أسابيع من بعد 17 تشرين، كان كثيرون من ناشطي المدينة، وفاعلياتها، يسمعون ويدققون في معطيات حول التدخلات الخارجية في نشاط المدينة. لكن القائمين على «الثورة المدنية» كانوا يرفضون أصل النقاش. هم قرروا من طرف واحد أن الحقيقة محصورة في أن هناك غضباً بسبب الفقر وغياب الديموقراطية، وأن الثورة مصانة وستُستأنَف في أقرب وقت ممكن. والأكثر غرابة كان في أن أحداً من قوى السلطة أو قوى الشارع لم يكلف نفسه عناء إجراء حوار ولو جانبي بين المتخاصمين أو المشتبكين. وظلت المواقف على حالها إلى أن قام فجأة، وقبل نحو ثلاثة أسابيع، موفدون من سفارات أميركا وبريطانيا وفرنسا والاتحاد الأوروبي، بجولات وحوارات مع مسؤولين في الدولة ومع قادة في جميع الأجهزة العسكرية والأمنية، يحملون رسالة واحدة واضحة ومختصرة: الأوضاع الاقتصادية الصعبة، وعدم تأليف الحكومة سيقودان حتماً الى عودة الاحتجاجات الشعبية، ونحن نطلب منكم عدم اللجوء إلى أي إجراءات قمعية ضد المتظاهرين، وعدم منعهم من قول ما يريدون والقيام بما يريدون، ومن يمارس القمع سيكون محل متابعة منا، وسيدفع الثمن خارج لبنان إن لم يدفعه داخله.

> **ما يحصل اليوم يشير إلى أن لبنان مقبل على تحدّي اختبار الفوضى المناطقية التي قد يكون هناك من يحلم بتحويلها الى لحظة الاستغناء عن اي صلة بالدولة**

لم تكن الرسالة غامضة على الإطلاق. بل إن الجهات الأمنية والعسكرية حاولت معاينتها ميدانياً. جرت محاولة لمطابقة التقدير الغربي مع المعطيات الميدانية لديها. والحيرة التي سادت لدى هذه أن غالبيتها لديها ناسها في الشارع، سواء على شكل مناصرين لقوى سياسية، أو على شكل مجموعات لا تزال ـ نعم لا تزال ـ تعمل بإمرة ضباط أمنيين من هذا الجهاز أو ذاك. وكانت النتيجة عدم توقّع أمر كبير، إلى أن انطلقت الاحتجاجات قبل أيام في طرابلس، وسط محاولات حثيثة لنقلها الى مناطق أخرى، وخصوصاً في بيروت والبقاع الأوسط وطريق الجنوب وصولاً إلى صيدا.

لنضع جانباً كل الحديث السياسي المملّ عن السلطة ودورها. هذه سلطة لم ولن يخرج منها الخير. ولنضع جانباً، كل الكلام المطابق لكلام السلطة والصادر عن قوى في السلطة انتقلت الى المعارضة. وهي قوى لم ولن يخرج منها إلا الشر كما فعلت طوال أربعة عقود. ومهما تلونت ورسمت لنفسها صورة جميلة، فهي ستظل المرآة تعكس روحها البشعة.

أيضاً، لنضع جانباً الضغوط الخارجية لأجل تأليف حكومة تسير في البرنامج الدولي (الذي عرضته فرنسا) للحل في لبنان. وهو برنامج يقضي بأن يكون لبنان تحت انتداب جديد ولو بصورة مقنّعة من خلال استخدام جماعات الـ«ان جي أوز» كقناع لتولّي إدارة الدولة، وهو انتداب يستهدف الإمساك بمقدرات لبنان القائمة أو المتوقعة، كما يستهدف جرّه الى ضفة المحور العامل برعاية أميركا وأوروبا وإسرائيل والسعودية، ما يوجب التخلص من المقاومة.

ولنضع جانباً الآثار الطبيعية للأزمة الاقتصادية والاجتماعية على أهالي هذه المدينة المهملة بصورة لم تعرفها منطقة لبنانية سابقاً، بما في ذلك «خِسّة» أثرياء المدينة الذين لا يغادرون مربع الصدقة والإحسان ولا يبذلون مصنعاً واحداً يشغّل الآلاف من شباب المدينة وصباياها، ويعيل أهلهم.

لكن، هل من مجال لطرح الأسئلة التي يهرب منها الجميع؟ ترى، كيف لا يمكن لسياسي في لبنان، أو إعلامي، أو أمني، أن يقدّم خريطة واقعية تشرح طبيعة ما يجري في عاصمة الشمال؟ من هم هؤلاء المحتجّون؟ ومن هم الناشطون بينهم؟ وكيف يتمّ تنظيم تحرّكهم، ومن يقرّر هذه الوجهة من تنفيس الغضب من تلك، ومن يصرف الأموال المطلوبة (حتى لو كانت مئة ألف ليرة فقط)، ومن يقرر إعادة التركيز الإعلامي على هذه الزاوية أو تلك، ومن هو العبقري الذي يرفع الشعارات الكبيرة ضد ميشال عون وحزب الله، ثم يرمي القنابل على فرع المعلومات المحسوب على سعد الحريري الذي لا يزال خصماً أساسياً لميشال عون، ورابطاً للنزاع مع حزب الله؟ وكيف يمكن حصر الاحتجاجات بأهداف موضعية تقول بضرب كل المراكز التي تخص فكرة الدولة، قوى الأمن والسرايا والبلدية ومؤسسات أخرى موجودة على لائحة الأهداف؟ وهل نريد تكرار تجربة العام الماضي، حيث نعود من جديد الى الأسئلة البديهية عمّن يقود الناس وعن أي إطار ينظّم تحركاتهم، أم لا يزال السؤال حول ذلك محرّماً؟ ثم من هو الذي قرر أن كلّ سياسيي المدينة هم من الشياطين، ما عدا هذا أو ذاك من الذين يصادف ـ يصادف فقط ـ أنهم من المجموعة التي ترى أن إسقاط ميشال عون ونزع سلاح المقاومة هو الهدف المركزي الوحيد؟

هذه المرة، لا أحد يحتاج الى درس في معرفة الوقائع الاجتماعية الصعبة لهذه المدينة، ولا أحد يحتاج الى شروحات حول الحاجة الى انتفاضة أو حتى انقلاب على هذه السلطة المقيتة. لكنّ هناك حاجة إلى عدم التساهل مع الذين يحاولون اليوم، خطف المدينة وأخذها الى مواجهة سياسيي المدينة هم من الشياطين، ما عدا هذا أو ذاك من الذين يصادف ـ يصادف فقط ـ أنهم من المجموعة التي ترى أن إسقاط ميشال عون ونزع سلاح المقاومة هو الهدف المركزي الوحيد؟

هذه المرة، لا أحد يحتاج الى درس في معرفة الوقائع الاجتماعية الصعبة لهذه المدينة، ولا أحد يحتاج الى شروحات حول الحاجة الى انتفاضة أو حتى انقلاب على هذه السلطة المقيتة. لكنّ هناك حاجة إلى عدم التساهل مع الذين يحاولون اليوم، خطف المدينة وأخذها الى مواجهة نفسها فقط، إذ لا نتيجة عامّة لأي حركة من دون مشروع سياسي واضح. ولن تكون النتيجة سوى المزيد من العنف العدمي، الذي لا يشبه حتى دراما المنتحرين غضباً. وما يحصل اليوم يشير، وفق كل الحسابات العقلية، إلى أن لبنان مقبل على تحدّي اختبار الفوضى المناطقية التي قد يكون هناك من يحلم بتحويلها الى لحظة الاستغناء عن أي صلة بالدولة، وعندها سنبدأ نسمع عن العصيان المدني الشامل، وعن الحكومة المحلية الجديدة، وعن الإدارة المستقلة أو الموازية لمرافق الدولة، ومن ثم سنجد من يخرج أرنب الأمن الذاتي وهنا الطامّة الكبرى...

النتيجة أن طرابلس مخطوفة الآن، كما كانت مخطوفة منذ أربعين سنة على الأقل. رهينة يتبادلها الخاطفون. مخطوفة من سلطات تعاقبت على حرمانها من كل شيء. ومن برلمانات وبرلمانيين فاشلين. ومن زعامات لا ترتقي الى مقام فتوة الأحياء. بل تنتظر يوم الانتخاب لتجدّد لذاتها عبر المال، مخطوفة من أمراء المحاور وأولياء الدم والمسجونين، ومن جيش مرتزقة ينتشر اليوم كالفطر باسم المجتمع المدني، وجلّهم من «صبية السفارات» على أنواعها. ومخطوفة من بقايا «الثورة السورية المجيدة» الذين لا يزالون الى الأمس يعطون الدروس في كيفية العسكرة والانتقال الى مستوى جديد من «العنف الثوري»...

طرابلس فيها مساكين، يقوم دهاة من أهل النظام نفسه بتوجيه غضبهم الى حيث لن يكون هناك تغيير ولا ما يحزنون. والمدينة ستظلّ مسكونة برهاب الفوضى الأمنية الكبيرة، وخصوصاً مع قوى وأجهزة أمنية وعسكرية لا تعرف إلا الاستغلال أو الإفراط في استخدام القوة. وفي كل يوم يخضع فيه العاقلون لابتزاز المجانين، سترتفع الكلفة... قبل أن يخرج من يحرّر هذه المدينة ويعيدها الى أهلها الحقيقيين!

قضية اليوم

احتجاجات طرابلس: غياب الخطّة الأمنيّة... والمرجعيّة

عبد الكافي الصمد

مع غروب يوم أمس، كانت فرقة من مغاوير الجيش اللبناني قد بدأت بالوصول إلى طرابلس، وبدأت بالانتشار في محيط سرايا المدينة وساحة عبد الحميد كرامي (النّور) إيذاناً ببدء تطبيق خطّة أمنية تضع حدّاً للفلتان الأمني الذي مضى عليه نحو أسبوع، وأدى إلى اعتداء محتجّين على مدخل السرايا، وإحراقهم، مساء أول من أمس، مبنى المحكمة الشرعية الكائن داخل السرايا، إضافة إلى إحراقهم مبنى بلدية طرابلس، ما أثار موجة واسعة من الانتقادات في عاصمة الشمال التي اتّهمت الجيش اللبناني والقوى الأمنية بالتقصير في حماية المؤسسات الرسمية والخاصة والأهالي من اعتداءات مندسّين عاثوا في المدينة فساداً وتخريباً.

ميقاتي يروّج للأمن الذاتي «إذا لم يقم الجيش بحمايتنا وحماية أبناء طرابلس»

فبعدما اتهم الرئيس سعد الحريري، أول من أمس، الجيش اللبناني «بالوقوف متفرجاً على إحراق السرايا والبلدية والمنشآت»، خرج الرئيس نجيب ميقاتي ليدعو، بشكل غير مباشر إلى الأمن الذاتي، عندما حذّر في مقابلة مع قناة «الجديد»، من أنه «إذا لم يقم الجيش بحمايتنا وحماية أبناء طرابلس، فإنّ ذلك يعني أن نحمي أنفسنا بأنفسنا»، برغم تأكيده أن «رهاننا هو على الدولة والجيش والقوى الأمنية».

الانتقادات التي وُجّهت إلى الجيش وُجّهت أيضاً إلى قوى الأمن الداخلي، إذ طرحت أوساط سياسية أسئلة عن «أين ذهبت، وماذا فعلت القوة الضاربة في قوى الأمن الداخلي التي وصلت من بيروت إلى طرابلس مساء يوم الأربعاء الماضي، وهل لو كان هناك الحدّ الأدنى من التنسيق الأمني المسبق بين الأجهزة الأمنية، أما كان بالإمكان تلافي الكارثة التي ضربت المدينة ليل الخميس؟».

وأشارت إلى أنه «في بيروت، أقام الجيش والقوى الأمنية طوقاً أمنياً واسعاً حول المراكز الحكومية، ومنعت المحتجين من الاقتراب منها لمسافة بعيدة، فلماذا تركت المراكز الرسمية والحكومية في طرابلس معزولة من أي حماية لإبعاد المخرّبين عنها؟».

وفيما أسهمت التعزيزات الأمنية التي وصلت أمس إلى طرابلس في تخفيف حدّة التوتر فيها، وإبعاد المحتجّين عن محيط مبنى السرايا، فإن مصادر سياسية وجّهت عبر «الأخبار» انتقادات لمجلس الدفاع الأعلى «لتأخره في الانعقاد من أجل بحث ما يحصل في طرابلس وغيرها من تطوّرات خرجت عن السيطرة، وأدت إلى كسر هيبة الدولة وكشف عجزها»، مضيفة إنّ «صراعات الأجهزة الأمنية وعدم تنسيقها في ما بينها أدى إلى تدهور الوضع أكثر في طرابلس».

لكن أحداث طرابلس لم تكشف فقط عجز الجهات الرسمية، السياسية والأمنية، في حمايتها من المخاطر التي تهدّدها، بل كشفت أيضاً عجز وغياب قواها السياسية كلياً عن مسرح الأحداث، وعدم وجود أي مرجعية سياسية تستطيع النزول عن المدينة كما الحال في مناطق أخرى.

ولفت المراقبون إلى أنّ «تراجع حضور ونفوذ تيّار المستقبل أخيراً في طرابلس كما في الشارع السنّي، وهو الذي لم يستغلّ سيطرته على هذا الشارع وإمساكه به لسنوات منذ عام 2005، في تحقيق الحدّ الأدنى من الإنماء والتماسك، وعدم قدرة أو رغبة آخرين كالرئيس نجيب ميقاتي والنائب فيصل كرامي والنائب السابق محمد الصفدي وغيرهم في ملء الفراغ الذي تركه تيار المستقبل خلفه، ودخول بهاء الحريري وسواه على خط منافسة تيّار المستقبل في البيئة السنّية، لغايات وأهداف مختلفة، ترك المدينة والشارع السنّي معلّقين في الهواء، بلا أي أفق أو أمل بغدٍ أفضل».

(مروان بو حيدر)

تقرير

سلامة: أنا المنقذ... أنا كبش الفداء

يستمر حاكم مصرف لبنان، رياض سلامة في جلسات المرافعة بـ«براءته» عبر تحميل الناس والدولة والمصارف، مسؤولية الانهيار النقدي والمالي في لبنان، نافضاً المسؤولية عنه كما لو أنّه كان طوال الفترة الماضية (مُشاهد سينما». لا يزال سلامة، (المُشتبه فيه) في سويسرا والمدّعى عليه في لبنان، مستمراً في تضليل الرأي العام، عبر الإيحاء بأنّه «الصخرة» التي حملت البلد في السنة والثلاثة أشهر الماضية ومنعته من السقوط النهائي، وبأنّ كلّ البلد «يعيش من أموال المصرف المركزي، وهذه الأموال تُقدّر بـ 17 ملياراً ونصف مليار دولار، بالإضافة إلى الذهب». قال سلامة هذه الجملة أمس في حديثه إلى قناة «فرانس 24»، مُتعمّداً ترويج «الأكاذيب» التي يُفترض أن يُعاقب عليها القانون.

الدولارات الموجودة لدى مصرف لبنان هي «أمانة» أودعتها المصارف لديه، من أموال المودعين. قرابة الـ 75 مليار دولار أميركي من أموال الناس وظّفتها المصارف لدى «المركزي» طمعاً بالفوائد المرتفعة عليها، ولم يتبقّ منها - بحسب ما يُعلن سلامة - سوى 17,5 مليار دولار. فكيف يضع أموال الناس في حسابه ويدّعي في مقابلته أنّها أموال مصرف لبنان؟ هل يستطيع أصلاً أن يُقدّم للرأي العام لائحة بإيرادات «المركزي» ويُفنّد له إن كانت لديه استثمارات تدرّ له هذه المبالغ بالدولار؟ وهل يقبل أن تُفتح حسابات مصرف لبنان وكلّ زبائنه حتى تُعرف الأرقام الحقيقية لديه؟ «لم أكن ضدّ عملية المراجعة المحاسبية القضائية»، قال أمس، مُضيفاً إنّه «قدّمت حسابات المصرف المركزي، لكن كان هناك عائق قانوني يتعلّق بحسابات الغير، أي الحكومة والمصارف، وهنا كان ينبغي إجراء مبادرة قانونية لتعليق أو إلغاء السرية المصرفية، وقام مجلس النواب بذلك». ومع ذلك، أصرّ على أنّه لا يتحمّل مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع، ولا حتى جزءاً من المسؤولية، «لو قام المصرف المركزي بسوء إدارة، لما كنّا صمدنا سنة ونّ أشهر». لم يوضح سلامة إن كان «الصمود» يشمل انهيار سعر الصرف، وانهيار قيمة الأجور، والتضخم، وزيادة العجز في ميزان المدفوعات... المهم بالنسبة إليه أنّه «ليس هناك أي مصرف مفلس لأنّ المصرف المركزي قدّم السيولة للنظام المصرفي... عادت إلى المصارف كل الودائع المصرفية من العملات الأجنبية. كما قام المصرف بضخّ 13 ملياراً في القطاع المصرفي. الكثير يخطئ في ما يتعلق بالأموال والسيولة بالعملات الأجنبية التي كانت في المصارف، والتي جرى استهلاكها بشكل أساسي عبر الاستيراد، فمنذ عام 2017 حتى عام 2019 استوردنا بـ 65 ملياراً. وهذا رقم ضخم بالنسبة إلى لبنان، وهذا سبب أساسي لنقص السيولة وعملية المراجعة المحاسبية ستبيّن ذلك». هذا القطاع «لم يكن مُلزماً على استثمار كلّ أمواله في مصرف لبنان، بل قامت المصارف بذلك عن قصد. وهي لم تقم بكلّ استثماراتها في المركزي، فالمصارف التجارية اشترت سندات الدين اللبناني مباشرةً من الحكومة، وعندما حدث عجز الدفع، كان لدى المصارف 14 مليار دولار على شكل سندات خزينة، تلاشت بعد ذلك». وذهب سلامة بعيداً من خلال تحميله المودعين، الذين فجأة وجدوا أنفسهم أمام قطاع مصرفي «زومبي» لا يملك دولارات ولا يقبل فتح اعتمادات أو إجراء تحويلات ويُقنّن السحوبات، جزءاً من مسؤولية الأزمة. قال إنّ اللبنانيين «هم من سحبوا الأموال. هناك 2,6 مليار من الدولارات تم إخراجها، منها 1,6 مليار لمصلحة المصارف المراسلة ومليار للبنانيين». لم يُفرّق سلامة بين المودع «المحظي» الذي نال موافقته على عمليات تحاويل قام بها، وبين المودع «العادي» الذي بات محروماً من سحب مليون ليرة. أضاف إنّه تمّ «سحب حوالى 30 ملياراً من ودائعهم في المصارف خلال السنة الماضية، استخدموا 20 ملياراً منها لتغطية القروض، و10 مليارات على شكل سيولة نقدية... من غير الصحيح أن نقول إنّ اللبنانيين لم يحصلوا على ودائعهم وأموالهم، فبإمكانهم سحبها من المصارف».

سلامة: المصارف لم تكن مُلزمة باستثمار كلّ أموالها في مصرف لبنان

سلامة اعتبر نفسه «كبش فداء». من لديه مصلحة بذلك؟ «الطبقة السياسية بطبيعة الحال، ويمكن أن تكون هناك دوافع إيديولوجية سياسية أو بعض الأشخاص الطموحين». دافع بأنّ التمويل الذي دفعه «المركزي» كان يتمّ «حسب القانون»، ورغم ما يجري فـ«لا أستقيل تحت الضغط».

(الأخبار)

تقرير

«ضريبة التضامن الوطني»: إبراء ذمة من أثروا من المال العام؟

لا يبدو مشروع موازنة 2021، بالنسبة إلى وزارة المال، أكثر من خطّة لتمرير الوقت بأقلّ عجز ممكن. ومن هذا المنطلق، ومقابل التراجع الملحوظ في الإيرادات الضريبية المتوقّعة، تم استحداث ضريبة التضامن الوطني التي توفّر نحو ألف مليار ليرة، مع فرض ضريبة بنسبة 30 في المئة على فوائد سندات الخزينة وشهادات الإيداع. ألفا مليار ليرة توفّرهما الضريبتان المقترحتان. إلّا أنّ هذا المبلغ على أهميته، فهو لا يقرب أموال كلّ من اغتنى من فوائد الدين العام، بحجة انتظار برنامج صندوق النقد

الضريبة على الثروة ليست بديلاً من الهيركات (هيثم الموسوي)

إيلي الفرزلي

ضريبة التضامن الوطني، هي ضريبة من اثنتين اقترحهما وزير المالية في مشروع الموازنة، بهدف تعويض الخسائر الكبيرة في المداخيل الضريبية، جرّاء الانكماش الاقتصادي المستمر منذ أكثر من سنة. تطال الضريبة الأولى من يملكون مليون دولار أو ما يزيد من الودائع. وبحسب المادة 30 من مشروع قانون الموازنة، هي ضريبة استثنائية تُفرض لمرة واحدة على قيمة كل حساب دائن مفتوح لدى المصارف العاملة في لبنان كما في 2020/10/31، وفقاً لما يلي:

واحد في المئة على كل حساب قيمته ما بين مليون و20 مليون دولار، أو ما بين 1,5 مليار ليرة و30 مليار ليرة.

1,5 في المئة على كل حساب قيمته ما بين 20 مليون دولار و50 مليون دولار، أو ما بين 30 مليار ليرة و75 مليار ليرة.

2 في المئة على الحسابات التي تفوق قيمتها 50 مليون دولار أو 75 مليار ليرة.

يشير بيان الإيرادات، الذي تضمنه مشروع الموازنة، إلى أن هذه الضريبة، التي تقع في خانة «ضرائب على رؤوس الأموال المنقولة»، ستدرّ 1,279 مليار ليرة. المبلغ يشمل الأموال المُحصّلة من ضريبة التضامن الوطني والأموال المحصّلة من الضريبة على توزيعات أرباح الأسهم (قُدّرت في موازنة 2020 بـ158 مليار ليرة، وتحقّق منها فعلياً حتى آب 2020 نحو 93 مليار ليرة). هذا يعني أن الضريبة تلك ستحقّق نحو 1,1 ألف مليار ليرة فقط.

أما الضريبة الثانية، فقد وُضعت لتعوّض تراجع إيرادات الضريبة على الفوائد المصرفية جرّاء الانخفاض الكبير في معدلات الفائدة على الودائع. وتطال هذه الضريبة الفوائد التي تزيد على 3 في المئة على الدولار و5 في المئة على الليرة اللبنانية. بحسب وزارة المالية، فإن هذه المادة الضريبية تؤمّن ما بين 800 مليار ليرة وألف مليار ليرة، وهي لا تطال عملياً سوى المصارف، إذ أن الفائدة التي يحصّلها الأفراد حالياً تقلّ عن واحد في المئة بالنسبة إلى الدولار، وعن 3 في المئة بالنسبة إلى الليرة، في حين أن فوائد شهادات الإيداع وسندات الخزينة مصرف لبنان هي وحدها التي تتخطّى الفائدة عليها النسبة التي اقترح وزير المال أن تُفرض عليها ضريبة الـ30 في المئة. وبالرغم من هذه الضريبة الإضافية التي تطال توظيفات المصارف في مصرف لبنان (لا تملك المالية أرقاماً دقيقة عن قيمتها الفعلية) إلّا أنّ إجمالي عوائد الضريبة على الأرباح يُتوقع أن يسجّل انخفاضاً بالمقارنة مع عام 2020 (من 2279 مليار ليرة إلى 1903 مليارات ليرة، وكان يمكن أن ينخفض إلى ما دون ألف مليار ليرة).

بالعودة إلى ضريبة التضامن الوطني، توحي التسمية أن الهدف هو أن يساهم أصحاب رؤوس الأموال في دعم أو التضامن مع فئات أخرى، من خلال التبرع بمبلغ زهيد. فمن يملك مليون دولار ستنقّص وديعته 10 آلاف دولار ومن يملك 500 مليون دولار ستقلّ ثروته مليون دولار، ويبقى له 499 مليون دولار. تلك عملية تنسف المبدأ من الضريبة على الثروة وهو الاسم الفعلي لضريبة كهذه. لماذا لم تزد نسبة الضريبة عن الاثنين في المئة؟ تقول مصادر وزارة المال إنّ هذه النسبة دُرست بعناية بحيث تساهم في ردم الدولة بالإيرادات من دون أن تؤدّي إلى اعتراضات كبيرة يمكن أن تطيّرها. وفي مطلق الأحوال، تشير المصادر إلى أن هذه الضريبة لا تغني عن أيّ إجراءات يمكن أن تُتّخذ في إطار عملية الإصلاح المالي والنقدي المرتقبة. مصادر معنيّة تؤكد أن المشكلة الفعلية هي هنا. فوزارة المالية كان يُفترض أن تقدّم تصوّراً للعملية الإصلاحية وكيفية الخروج من المأزق الحالي، انطلاقاً من أن دورها لا يقتصر على تأمين الإيرادات وتقدير النفقات. لذلك، فإنّ إضافة ألفي مليار ليرة إلى الإيرادات كان يمكن أن يكون حلاً مقبولاً في زمن البحبوحة، للمساهمة في تخفيض العجز، إلّا أن إضافة هذا المبلغ إلى الواردات اليوم، يؤكد أن الوزارة لا تزال تراهن على شراء الوقت، متجنّبة الدخول في الحلول، التي لا تحتاج أصلاً إلى صندوق النقد لإجرائها. تقول المصادر: في حالة الانهيار ليس المقصود بالضريبة على الثروة أن يتضامن الأغنياء مع الفقراء أو أن يساهموا أكثر من غيرهم في تمويل الدولة. أما الضريبة التصاعدية فيُفترض أن تكون ضريبة طبيعية ولطالما طالب بها الساعون إلى العدالة الضريبية.

«بناء الدولة»: يفترض أن تُعادل الضريبة على الثروة كل ما دُفع من فوائد سخية

بالرغم من أن تأكيده أن نسبة الواحد في المئة هي نسبة مقبولة، إلّا أن الخبير المصرفي نسيب غبريل يعتبر أن ضريبة كهذه يجب أن تكون ضمن مشروع إصلاحي شامل، أي بما يضمن أن لا تؤدّي هذه الضريبة إلى غير الغاية منها كأن تموّل، على سبيل المثال، الوظائف الوهمية. لذلك، يفضّل غبريل لو تم تحديد الغاية من هذه الضريبة.

أمّا المصرفي جان رياشي فيعتبر أن المبلغ الذي تؤمنه هذه الضريبة جيّد في ظل الأوضاع الاستثنائية الحالية وإلى حين إيجاد حل اقتصادي شامل. إذ أن على الحكومة تأمين بعض الإيرادات التي يمكن أن تساهم، على سبيل المثال، في تعويض الدعم الذي قد يوقفه مصرف لبنان.

مع ذلك يعتبر أن المشكلة في عدم المساواة بين من احتُجزت أمواله في الداخل وبين من يودع أمواله خارج لبنان. ولذلك، يرى رياشي أن الضريبة على الثروة يجب أن تكون شاملة لكلّ أنواع الثروة إن كانت ودائع خارجية أو داخلية أو عقارات.

بالنسبة إلى الرئيس السابق لنقابة المحاسبين أمين صالح، فإن الضريبة الاستثنائية المطلوبة اليوم، يُفترض أن تطال كل الأطراف الذين استفادوا من الفوائد السخية على الدين العام، ومنهم كبار المودعين وهذه الفوائد التي تُقدّر بـ58 مليار دولار، هي ما يُفترض أن يكون هدف الوزارة. وبشكل أدقّ من كان يربح 40 في المئة فوائد أو حتى 10 في المئة، عليه أن يُعيد كل الفوائد التي حصل عليها بما يزيد على النسب العالمية. ولذلك، فهو لا ينظر إلى «ضريبة التضامن الوطني» إلّا بكونها مسعى لإبراء ذمة كل من استفاد من المال العام.

على سبيل المثال، واحد من الاقتراحات المتعلّقة بفرض ضريبة على الثروة كان الاقتراح الذي تقدمت به مجموعة «بناء الدولة». المجموعة كانت قدّرت الفوائد على الدين العام منذ 1993 وحتى 2019 بـ 86 مليار دولار، أي ما يعادل 36 في المئة من الإنفاق الحكومي. على هذا الأساس، اقترحت المجموعة أن تطال الضريبة الاستثنائية الودائع من 50 ألف دولار وما فوق، وبمعدلات تبدأ بـ1,1 في المئة وتصل إلى 38 في المئة. وهذه النسب محسوبة على قاعدة استرداد الفارق في فوائد الدين العام بين المعدلات المحلية السخية والمعدلات العالمية.

لكن مع ذلك، يعتبر الاقتراح أن الضريبة على الثروة من دون إرفاقها بإصلاحات أخرى لا يكفي. المطلوب أيضاً وقف دفع فوائد الدين العام فوراً، استرداد مبلغ الهندسات المالية التي أجراها المصرف المركزي لصالح المصارف التجارية مع فوائدها، استرداد سندات الدين العام منذ عام 1993 وحتى 2019، مع فوائدها...

بالنسبة إلى مصادر الوزارة، الاقتراحات المقدّمة مؤقتة وتهدف إلى زيادة المداخيل في عام 2021، وإلى حين الاتفاق مع صندوق النقد الدولي على برنامج تمويلي وإصلاحي. وبهذا المعنى، تشير المصادر إلى أن ضريبة الواحد في المئة لا تلغي لاحقاً إمكانية الهيركات أو إعادة رسملة المصارف أو أي خيار آخر يُتّفق عليه في إطار إعادة عملية الإصلاح النقدي.

على الغلاف

اللحوم والدجاج ومُشتقّات الحليب والمياه والبهارات

ربع ما نأكله ملوّث جرثومياً

(أ ف ب)

ربع ما يأكله اللبنانيون غير مطابق للمواصفات جرثومياً، خصوصاً من اللحوم والدجاج ومشتقات الحليب والمياه والبهارات. هذه نتائج عيّنات جُمعت بين عامَي 2015 و2017. في ظل الواقع الوبائي الحالي وانهيار النظام الصحي والأزمة الاقتصادية وانعدام الرقابة، يؤكّد المعنيون بأن أي تحليل حديث للأغذية سيكشف كوارث أكثر خطورة

هديل فرفور

«ضبطُ أكثر من طن من اللحوم المستوردة التي تحتوي على إحدى الجراثيم الخطيرة على الصحة»، كما جاء في بيان لوزارة الاقتصاد والتجارة قبل أيام.

قبلها، وردت، تباعاً، أخبار عن إتلاف أطنان من المواد الغذائية الفاسدة من الدجاج والسوشي والبهارات وغيرها. وفيما يفترض الواقع الصحي والوبائي الحالي منسوباً عالياً من الاهتمام بسلامة الغذاء، يعود آخر تقرير لوزارة الصحة حول سلامة الغذاء إلى عام 2017، تاريخ «انتهاء» حملة سلامة الغذاء التي بدأت في عهد وزير الصحة وائل أبو فاعور. في وقت أظهرت دراسة حديثة للجامعة الأميركية في بيروت أن ربع ما يأكله اللبنانيون غير مطابق للمواصفات جرثومياً، خصوصاً من اللحوم والدجاج ومشتقات الحليب والمياه والبهارات.

الدراسة أجراها قسم التغذية وعلوم الغذاء في كلية العلوم الزراعية والغذائية في الجامعة، ويقول معدّوها إنها «الأولى من نوعها» في لبنان لجهة التحليل الإحصائي المعمّق. إذ استندت إلى نحو 12 ألف عينة عشوائية (11 ألفاً و625) جمعتها وزارة الصحة بين عامَي 2015 و2017، من مطاعم وأفران ومحال لبيع اللحوم والإسماك والدجاج ومصانع غذائية من كلّ المناطق، ضمن حملة مراقبة سلامة الغذاء التي توقّفت في تموز 2017 «بسبب ضعف الموارد المالية والمواقف السياسية».

وأوضحت الدراسة أن نتائج فحص هذه العيّنات لمعرفة نسبة التلوث الجرثومي فيها نُشرت يومها على الموقع الإلكتروني للوزارة، وتضمّنت نوع العيّنة ومكانها ونوع الملوّث الموجود فيها، لكنها «لم تُظهر بوضوح ما إذا ما كانت العيّنة طعاماً نيئاً أو مطبوخاً أو جاهزاً للأكل». كما أن «تحليل الوزارة لم يحدّد الأطعمة الأكثر عرضة للتلوّث والملوّثات الأكثر شيوعاً في كلّ المحافظات، وهو ما قامت به الدراسة».

شملت العيّنات التي خضعت للتحليل اللحوم الحمراء ولحوم الدجاج على أنواعها (نيئة، مطبوخة، مملّحة، مثلّجة...)، المياه، الخبز والأطعمة المخبوزة، الأجبان والألبان، البهارات، الخضار، الفواكه المجفّفة والمكسّرات. وأظهرت النتائج أن 28,7% من هذه العيّنات «غير مقبولة جرثومياً»، ما يعني أن واحدة من كل أربع عيّنات تحتوي على جراثيم مضرّة. البروفيسور في كلية الأغذية والعلوم الزراعية وأحد معدّي الدراسة، عصمت قاسم، لفت إلى أن خطورة هذه الأرقام أنها «جاءت نتيجة التحليل الجرثومي، فكيف إذا ما أُخضعت للتحاليل الكيميائية وكانت العيّنات أكثر؟ عندها، حتماً، سنكون أمام نتائج كارثية أكبر».

الدراسة خلصت إلى أن العينات الملوّثة في غالبيتها تنتمي إلى فئة اللحوم والدجاج ومُشتقّات الحليب والمياه والبهارات. وأوضحت أن أنواع البكتيريا التي عُثر عليها في العينات شملت البكتيريا المختزلة للكبريت (SRB) التي تسبب التهاب القولون التقرّحي وداء الأمعاء الالتهابي، وبكتيريا E.Coli والبكتيريا الهوائية والسالمونيلا والليستيريا وغيرها، والتي تتسبب في الإسهال والتقيؤ ووجع البطن والفشل الكلوي وتعفّن الدم والتهاب السحايا والشلل الرئوي والعضلي والإجهاض وبعض أنواع السرطان.

> إخضاع العينات للتحليل الكيميائي إلى جانب التحليل الجرثومي سيكشفان نتائج أكثر خطورة

ورغم أن العيّنات تعود إلى أعوام عدة، لكن النتائج تبقى «مؤشراً بالغ الأهمية»، بحسب قاسم، «لأنها تعود إلى فترة كانت الرقابة فيها مفعّلة، وكانت تجهيزات البنى التحتية أفضل، وهي تصلح، بالتالي، كمقياس لتوقّع الوضع حالياً في ظل انتشار الوباء والأزمة الاقتصادية التي خلّفت حكماً تداعيات أكثر سوءاً». وأضاف: «نحن، حالياً، كمن يمشي في الظلام، فلا فحوصات مخبرية كيميائياً وجرثومياً تُجرى على عينات من الغذاء ولا معلومات شفّافة تعلنها الجهات الرسمية حول هذا القطاع، والرقابة على التجار ومصنعي الغذاء شبه منعدمة»، لافتاً إلى أنه في ظل الواقع الوبائي وانهيار النظام الصحي والاستشفائي «لن يكون بمقدور المصابين بحالات تسمم وإسهال بسبب سوء الغذاء الحصول على الخدمات الطبية المناسبة بسهولة».

المدير العام لوزارة الاقتصاد والتجارة، محمد أبو حيدر، أوضح لـ«الأخبار» أنّ مديرية حماية المستهلك «تُخضع اللحوم المستوردة لفحص روتيني في مختبرات متخصّصة للتأكد من سلامتها قبل السماح بطرحها في الأسواق». لكن المشكلة أن هذا «الروتين» الذي تقوم به الوزارة في ما خص اللحوم المستوردة أو بعض البضائع التي تحوم حولها شبهات بناءً على شكاوى وغيرها، لا يشمل منتجات غذائية حيوانية أخرى كونها من مسؤولية وزارة الزراعة مثلاً، وصناعات غذائية لأنها من مسؤولية وزارة الصناعة. إذ إن كلاً من هذه الوزارات تعمل بشكل منفصل ومن دون أي تنسيق في ما بينها، في وقت لم تُبصر «الهيئة اللبنانية لسلامة الغذاء» النور بعد، وهي التي من مهامّها التنسيق بين الوزارات والجهات المختلفة المعنيّة بهذا القطاع.

ضعف الرقابة وغياب الشفافية

تنطلق الدراسة من «قناعة» بأن سلامة الغذاء في لبنان تواجه تحديات كثيرة تشكل خطراً يتعلّق بالشأن العام. وتلفت إلى أن ما يمر به لبنان من تلوث وضعف البنى التحتية وانعدام الاستقرار الاقتصادي والأمني ينعكس على قطاع التصنيع الغذائي على شكل حالات من الأطعمة الفاسدة والمنتهية الصلاحية والمغشوشة. ويؤكّد معدّو الدراسة أنّ عوامل عدة ساهمت في وصول واقع سلامة الغذاء إلى ما هو عليه، منها غياب البيانات الأساسية حول الملوّثات الكيميائية والميكروبيولوجية الشائعة في لبنان، غياب الخبرة العلمية والتقنية، محدودية الدعم المالي، ضعف الرقابة على حالات الأمراض المنقولة بالغذاء، غياب الشفافية، تداخل المؤسسات الحكومية وتعارض صلاحياتها، ضعف التوعية حول إجراءات السلامة الغذائية في الصناعات الغذائية الصغيرة، ومحدودية الأبحاث الأكاديمية التي تدرس انتشار الملوّثات وخصائصها.

تقرير

قطاع التمريض في زمن الوباء

تعسّف المستشفيات مستمر... ويكبر!

كان من المفترض أن «يعدّل» فيروس كورونا وضعية الممرضين والممرضات على الأقل لناحية تحسين رواتبهم وإعطائهم بعض المحفزات. لكن حصل العكس. إذ زادت «تجربة» الفيروس من التعسف الذي وصل حدّ تشغيلهم دوامات إضافية وحسم بعض المستشفيات «أيام الحجر» من راتب الممرض المصاب!

راجانا حميّة

قبل أشهر، أضيفت إلى عداد الإصابات اليومي خانة للعاملين في القطاع الصحي، مع انتشار فيروس «كورونا»، بات هؤلاء في قلب الخطر، إذ أن معظمهم على «خط التماس» الأول مع المصابين. اليوم، بات الرقم الذي يخصّ هؤلاء في العدّاد أساسياً ومخيفاً، وكلما «تقدّم» الفيروس في البلاد، زادت أعداد الممرضين المصابين.

2375 هو رقم المصابين من العاملين الصحيين حتى الآن. وإذ يعدّ هذا الأمر «بديهياً» في معظم بلاد العالم، إلا أنه هنا يصبح أقرب إلى «الورطة»، لاعتبارات كثيرة، ليس أقلها سوء تعامل المستشفيات معهم، مروراً بالثقل الذي تفرضه إصابة بعضهم على بقية الزملاء الذين يضطرون إلى تغطية النقص الذي بات فاضحاً.

بعد أحد عشر شهراً على بدء معركتهم التي أصبحت أصعب مع الآف الإصابات يومياً، تسير أحوال الممرضين والممرضات نحو الأسوأ، ويزيد الأمور سوءاً «التعسف» الذي تمارسه المستشفيات بحق البعض، على ما تقول نقيبة الممرضين والممرضات ميرنا ضومط. فبدل أن يحظى هؤلاء بما يعوّض تعبهم، تتعامل معهم المستشفيات «على القلم والورقة»، على ما تقول إحدى الممرضات، ما يدفع بعضهم إلى التزام منازلهم بسبب «التعامل اللاإنساني معنا». وفي هذا الإطار، تروي ممرضة في أحد المستشفيات الخاصة أن ستة من زملائها تقدّموا الأسبوع الفائت باستقالاتهم لأنهم «ما عادوا قادرين على الاستمرار بالوضع نفسه (...) تخلّوا عن الإنذارات وعن التعويض لأنهم تعبوا». وتلفت ممرضة أخرى إلى أنه «في البداية كنا نقنع أنفسنا بأن الخيرة التي نكتسبها تسعفنا في سيرتنا الذاتية في ما بعد. لكن اليوم، في ظل انعدام المحفزات، بات التعب أقوى من السيرة الذاتية». لهذا، «تجرأت» على ترك عملها كي «أرتاح. لا أكثر ولا أقل».

لكن هذا خيار لا يستطيع كثيرون اتخاذه، وخصوصاً في ظل الأوضاع الاقتصادية والمعيشية الضاغطة، بالنسبة إلى البعض «العمل بالضغط أفضل من لا شيء»، وإن كانوا في سرهم يعرفون أن هذا «كلو على حسابنا»، يقول أحد العاملين. والتعب هنا ليس في تضاعف عدد ساعات العمل بعد «هروب» بعضهم و«تشحيل» المستشفيات للبعض الآخر، وإنما بسبب غياب المحفزات. ناهيك عن أن تصرفات بعض المستشفيات، ومنها مستشفيات جامعية، مع الممرضين دفعتهم إلى اتخاذ أمرّ الخيارات. وليس أقل تلك التصرفات قبحاً «الحسم من راتب الممرض عندما يصاب بالفيروس»، تقول ضومط. وهو ما يخالف القانون والأخلاق. ففي وقت يفترض أن تكون أيام الحجر على حساب المستشفى، تمعن المستشفيات في «إذلال الممرضين، فتسألهم مثلاً من أين أصبتم بالفيروس؟»، على ما تقول ضومط. وغالباً ما تأتي النتيجة لغير مصلحة الممرضين، وتحسم أيام الحجر من رواتبهم.

> يحسم بعض المستشفيات أيام الحجر من راتب الممرض عندما يصاب بالفيروس

إضافة الى إجراءات أخرى، منها الحسومات على الرواتب بسبب أزمة الدولار. تشير إحدى الممرضات إلى أنه «منذ ثلاثة أشهر تحسم الإدارة 30% من رواتبنا بسبب أزمة الدولار». يحدث هذا كله في وقت يفرض على هؤلاء العمل بدوام مضاعف، بسبب النقص في عديدهم. وفي هذا الإطار، توضح إحدى الممرضات أنه في قسم الطوارئ في المستشفى اليوم، «نعمل 3 ممرضين فقط، وأنا كممرضة أساسية (مجازة) أعمل وحدي ضمن الدوام ومعي مساعد ممرض لمدة 12 ساعة متواصلة». والأنكى من ذلك، «أنني أعمل في قسم الطوارئ مع المرضى العاديين ومع مرضى الكورونا في الوقت نفسه» مع ما لذلك من مخاطر نقل العدوى، ولهذا السبب «أبلغت الإدارة بأنني إما أكون في قسم كورونا أو مع المرضى العاديين». ولكن غالباً ما يكون الجواب: «سنأتي باخرين ليحلّوا مكانكم في أقسام الكورونا». منذ ثلاثة أشهر، تسمع الجواب نفسه، وقبل أيام «حيث استبدلت دواماتي الشهرية من 15 دواماً إلى 21 دواماً، بعد استقالة 3 ممرضين من القسم».

ما تقوله الممرضة تدركه جيداً ضومط التي تتحدث عن «قسمة» غير عادلة يعانيها العاملون في المستشفيات، سواء في الأقسام العادية أو أقسام الكورونا. ففي وقت تشدد «كل قوانين العالم» على أن تكون هناك «ممرضة لكل 8 مرضى في الأقسام العادية كحد أقصى، يصل عدد المرضى الذين تتابعهم الممرضة الواحدة في لبنان إلى 18». أما في أقسام الكورونا فحدّث ولا حرج، إذ استنزف الممرضون، «واليوم هناك 3 ممرضات على 24 ساعة لمرضى الكورونا في العنايات الفائقة و3 ممرضات لخمسة مرضى كورونا في الغرف العادية». هل هذا عادل؟ تقول ضومط لا، «لكنه الواقع»، وإن كانت النقابة تطمح اليوم إلى واقع مغاير. والطموح هنا من شقين: أولهما «مادي، وتتحمل الدولة جزءاً من المسؤولية هنا»، وثانيهما معنوي يتعلق بالعمل على «إعادة الثقة بين القطاع التمريضي والمستشفيات».

كورونا

التفشّي الكبير لا يخفض الإصابات

يدخل الإقفال التام، اليوم، أسبوعه الثالث بعدما أنهى أمس يومه الرابع عشر، في وقت لا تزال فيه نسبة إيجابية الفحوصات المخبرية للكشف عن فيروس كورونا تتجاوز 20%، فيما تقتضي توصيات مُنظّمة الصحة العالمية بعدم تجاوزها الـ 5% لمدة أسبوعين كاملين قبل اتخاذ قرار فتح البلاد.

فمن أصل نحو 14 ألفاً و500 فحص، سجّلت وزارة الصحة 3125 إصابة (5 منها وافدة)، و59 وفاة رفعت إجمالي ضحايا الوباء إلى 2680. «الترجيع» النسبي للإصابات سببه الأساسي انخفاض أعداد الفحوصات، فيما لا تزال أسرّة العناية الفائقة تغصّ بالحالات الحرجة التي بلغ مجموعها ليلاً 951 حالة، ما يعني أن الحديث عن نتائج إيجابية في مسار احتواء الفيروس لا يزال مبكراً.

رغم ذلك، أفادت مصادر وزارة الصحة بتسجيل تراجع بسيط في أعداد المقيمين في المُستشفيات برزت ملامحه في اليومين الماضيين، وبأن انخفاض أعداد الفحوصات المخبرية قد يعني أيضاً تراجع الحالات المُشتبه فيها «وهو مُعطى يمكن البناء عليه». إلا أن هذا التحليل تقابله «معطيات بديهية» تُفيد بأن عوامل عدة تدخل في أسباب ذلك الانخفاض، أبرزها الكلفة المادية للفحوصات المخبرية من جهة، وتردد كثيرين من «المُشتبه فيهم» ممن لا يعانون من عوارض قوية لإجراء الفحص وتفضيلهم التزام الحجر المنزلي عشرة أيام لتمضية «القطوع». وعليه، فإنّ الحكم على نتائج الإقفال يبقى مرتبطاً بنسبة إيجابية الفحوصات بحسب رئيس لجنة الصحة النيابية عاصم عراجي، لافتاً إلى أنه يفترض أن يبدأ تقييم نتائج الإقفال في اليومين المُقبلين، وآملاً ألا تؤثر التجمعات الناجمة عن الاحتجاجات الأخيرة على أرقام الإصابات. وعن سبب عدم انعكاس الإقفال، الذي سجّل نسبة التزام كبيرة، تراجعاً في أرقام الإصابات، رأى عراجي أن «هذه المعطيات تعني أن التفشي كان كبيراً جدّاً، والمطلوب الحفاظ على منسوب الحذر بسبب حساسية الوضع الوبائي». هل يعني ذلك تمديد الإقفال؟ وفق أجواء، وزارة الصحة، فإنّ دراسة هذا الخيار ليست قائمة حالياً، فيما قال عراجي إن آراء الأطباء ستتبلور في الخامس من شباط المُقبل، «على أن تتخذ إجراءات تأخذ في الاعتبار مقوّمات صمود المُقيمين إذا ما تقرّر التمديد».

الحديث عن تمديد الإقفال إلى ما بعد الثامن من شباط مرتبط بأن وصول الدفعة الأولى من اللقاحات بداية الشهر المقبل لن يكون كافياً لفرملة الإصابات، وخصوصاً في ظلّ الحديث عن أن المناعة المجتمعية المكتسبة لن تتحقّق قبل الخريف المُقبل، ما يفرض الإبقاء، على نمط الحياة نفسه الذي يفرضه الفيروس لجهة الإبقاء، على ارتداء الكمامة وتجنب الاختلاط والتزام التدابير الوقائية.

(الأخبار)

نقابة المصلحة سيد
دعوة الهيئة الناخبة إلى اجتماع غير عادي
عملاً بالمواد ٢٦ إلى ٢٨ من قانون تنظيم مهنة الهندسة والمادة ٤٠ من النظام الداخلي تدعى هيئة المنتدبين لعقد اجتماع غير عادي في دار النقابة - بيت المهندس أو عبر الزوم في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاثنين في ١٥ شباط ٢٠٢١، وفي حال عدم اكتمال النصاب تدعى هيئة المنتدبين لعقد الاجتماع الثاني في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاثنين في ٢٢ شباط ٢٠٢١، وبعد الاجتماع قانونياً مهما كان عدد الحاضرين.
جدول الأعمال:
دراسة موازنة السنة المالية ٢٠٢١ - ٢٠٢٢
النقيب جاد ثابت

وجهة نظر

الاضراب المفتوح في مواجهة الموازنة او القضاء على القطاع العام

محمد قاسم *

يهدّد بعض مواد مشروع موازنة 2021 (غير القانونية وغير الدستورية) التي أعدّتها وزارة المال ديمومة عمل ومصير عشرات الآلاف من الأساتذة والمعلمين والموظفين والمتقاعدين والمتعاقدين، وتلحق بهم خسائر مادية ووظيفية، وتنقضّ على مكتسباتهم المكرسة بقوانين.

ولا بد للروابط في القطاع العام أن تحدد موقفاً صريحاً وواضحاً من خلال:

أولاً: ادراك الجميع ان المعركة الحالية حول مواد الموازنة 93 و98 و102 و103 و105 و106 و107 تتمحور حول المخاطر والإنعكاسات السلبية والخسائر المدمّرة على الجميع، ما يتطلب الجاهزية للمواجهة والإستنفار على المستويين الوظيفي والوطني عبر الاضراب العام المفتوح والشامل وتعطيل وتوقيف العمل في المدارس والثانويات والمهنيات والجامعة اللبنانية والوزارات والإدارات العامة والبلديات حتى اسقاط هذه المواد التي تستهدف العاملين في القطاع العام.

ثانياً: انضاج الظروف الذاتية والموضوعية لتحقيق هذه الخطوة وفي مقدمها:

- التزام الروابط والهيئات والتجمعات النقابية ومكونات هيئة التنسيق النقابية بخوض المعركة المفتوحة، وإثبات صدقيتها والتزامها امام قواعدها بحماية حقوقهم، ورفع الغبن المتمادي بحقهم، ان لجهة خسارة 80% من القدرة الشرائية لرواتبهم، او لجهة خسارة نصف معاشاتهم التقاعدية او حجز مدخراتهم في المصارف.

- الدعوة السريعة الى جمعيات عمومية في كل المدارس والثانويات والمعاهد الفنية وادارات ووزارات الدولة ومراكز المحافظات لشرح مخاطر المواد، ومناقشة واقرار التوصية بالاضراب المفتوح حتى الغاء المواد المذكورة.

ثالثاً: رغم الظروف المعقّدة سياسياً وصحياً واقتصادياً ونقابياً وتنسيقياً، تتطلب المعركة تجاوز التداخل والتباين بين المواقف وتعدد الهيئات وبعض العلاقات المتوترة بينها.

رابعاً: التأكيد على ان خوض معركة الغاء هذه المواد من مشروع الموازنة امر ممكن وحتمي، وسبق وخاضت هيئاتنا النقابية معارك اكثر حدة من بينها اسقاط هذه المواد ذاتها من الموازنات السابقة.

خامساً: نجاح هذه المعركة المصيرية في هذه الظروف لا يمكن ان تحققه رابطة او هيئة بمفردها، بل يتطلب من كل فريق ان يسهم بدوره متخطّين جميعاً، مرحلياً، كل الاعتبارات والتباينات، خصوصاً ان الجميع ابدى استعداداً للدعوة الى إنعقاد الجمعيات العمومية للحصول على موافقتها بالاضراب الشامل والمفتوح.

سادساً: مصير القطاع العام ومؤسساته والتعليم الرسمي والمهني، والعاملين فيها، والحقوق والمكتسبات والضمانات الصحية والاستشفائية والمنح والتقديمات الاجتماعية والوظيفة العامة ومعاشات التقاعد وحق الورثة... كلها مرهون بالموقف والخطوات التصعيدية. والتلكؤ سيؤدي حتما إلى خسارة هذه الحقوق بما يفسح في المجال امام السلطة للإنقضاض على ما تبقى من حقوق ومكتسبات. كما سيقود الى فشل المواجهة النقابية لهذه البنود الهادفة الى الخصخصة والتعاقد الوظيفي وخفض التقديمات والمعاشات خضوعاً لإملاءات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وممثليهما في السلطة السياسية.

ما تحقّق خلال خمسين سنة من النضالات النقابية والتضحيات والمصاعب يبقى مسؤولية العاملين في القطاع العام والجسم التعليمي. علينا الحفاظ على هذا الارث والتاريخ واسقاط كل المشاريع المباشرة كمواد الموازنة، وغير المباشرة بتقليص حجم القطاع العام ووقف ضخ الدم الجديد فيه، وصولاً إلى إنهائه.

* نقابي

ليغ 1

مئوية نيمار: أرقامٌ مرعبة ومهمة غير مكتملة

100 مباراة خاضها نيمار مع باريس سان جيرمان الفرنسي. النجم البرازيلي غيّر صورة العاصمة الفرنسية كروياً وتسويقياً، لكن المنتظر منه قد لا يكون قد تحقّق رغم الأرقام المخيفة التي أحاطها. نيمار في باريس نجح بالكثير وفشل في محطات عدة

شربل كريم

صحيحٌ أن النجم البرازيلي نيمار وصل بهالةٍ كبيرة إلى فرنسا، وتأقلمَت له كل وسائل الراحة للعيش الرغيد والتألق في الملاعب. لكن لا يخفى أن الرجل عاش فترةً صعبة جداً دفعته حتى إلى التفكير أو طلب العودة إلى فريقه السابق برشلونة الإسباني.

لكن اليوم ومع وصوله إلى المباراة رقم 100 مع باريس سان جيرمان تخلّص نيمار من كل هذه الضغوط وبات يستمتع أكثر بلعب كرة القدم، لا بل أصبح واثقاً من إمكانية تحقيق الحلم الكبير وقيادة فريق عاصمة الموضة إلى لقب دوري أبطال أوروبا، وهو اللقب الذي كان وراء دفع مالكي بطل فرنسا مبلغاً قياسياً للحصول على خدماته.

هو واثقٌ من دون شكّ بنفسه، وما حقّقه حتى الآن يجعله مؤمناً بأنه عند اعتزال النجمين الآخرين الأرجنتيني ليونيل ميسي والبرتغالي كريستيانو رونالدو، سيجلس مكانهما على عرش الأفضل في العالم. هو شعر أيضاً بهذا الأمر وهذه الثقة منذ الموسم الماضي عندما قاد فريقه إلى المباراة النهائية لدوري الأبطال حيث كان قريباً من منصة التتويج لولا القوة «الرهيبة» لبايرن ميونيخ الألماني الذي حرم خصمه من الكأس صاحبة الأذنين الطويلتين بعد مشوار مثالي استحقّ في ختامه الاحتفال.

ثقة نيمار لا بدّ أن تكبر إذا ما نظر إلى أرقامه في المباريات الـ 100 التي لعبها مع الـ«PSG» في كل المسابقات، إذ سجل 81 هدفاً ومرّر 46 كرة حاسمة. أرقامٌ رهيبة لأن البرازيلي لا يلعب أصلاً في مركز رأس الحربة الكلاسيكي بل يؤدي دور صانع الألعاب أحياناً (وهو ما يفسّر هذا العدد الكبير من التمريرات الحاسمة المسجّلة باسمه)، ودور الجناح في أحيان أخرى، أو اللاعب الذي يتمركز خلف المهاجم الوحيد بحسب ما يفضّل غالباً.

وهذه الأرقام تُحسب لنيمار لأنه عانى مع الإصابات التي أبعدته عن عددٍ كبير من مباريات باريس سان جيرمان، إذ لم يخُض في الـ «ليغ 1» أكثر من 60 مباراة منذ وصوله في صيف عام 2017، لكنه رغم ذلك نجح في هزّ الشباك 51 مرّة. رقمٌ رائع آخر يضاف إليه رقمٌ أوروبي يُختصر بتسجيله 21 هدفاً في 25 مباراة لعبها في «تشامبيونز ليغ».

أهدافٌ بأشكال وجمالياتٍ مختلفة الأوجه، لكن وجه نيمار كان الأهم بالنسبة إلى الباريسيين لأنه نقل فريق العاصمة والدوري الفرنسي عامةً إلى مرحلةٍ أخرى، لا باستعراضاته المهارية على أرض الملعب فقط، بل من خلال جذب مشاهدين أكثر لمتابعة المباريات والدوري لرؤية ما يمكن أن يقدم عليه، وللإثارة التي أضفاها والتي قتلها في آن معاً بحكم مساهمته بشكلٍ كبير قبل الموسم الحالي بفرض فريقه هيمنة مطلقة على الكرة الفرنسية.

احتفى باريس سان جيرمان بنيمار في مباراة مونبولييه الأخيرة (أ ف ب)

في 100 مباراة مع بطل فرنسا سجّل نيمار 81 هدفاً ومرر 46 كرة حاسمة

سيطرةٌ تفسّر أيضاً بالأرقام، لأن نيمار لم يعرف طعم الخسارة في أكثر من 13 مباراة محلية و5 مباريات أوروبية من أصل المباريات الـ 100 التي خاضها مع الفريق.

الخسارة الأقسى بلا شك كانت أمام بايرن، وهي تفتح باب النقاش حول مشكلة قبل إن نيمار يعاني منها وتطبع شخصيته، وهي تتمثل بافتقاده للمزايا القيادية التي تبدو بنظر البعض أسوأ من مشكلته الأزلية، ومحورها تعرّضه للكثير من الإصابات التي كانت السبب في ابتعاده عن قسمٍ كبير من المباريات الـ 87 التي غاب عنها منذ وصوله إلى النادي.

وشخصيته هذه جعلت منه متعالياً في بعض الأحيان على المباريات وعلى خصومه بدلاً من أن يكون القائد المؤثّر في النجوم الآخرين الذين يلعبون مع الفريق الباريسي، فهو ليس باللاعب المثالي الذي يمكن لزملائه السير على خطاه، وقد ثبت هذا الأمر أخيراً خلال وبعد المباراة أمام مرسيليا، حيث فتح حرباً كلامية من العيار الثقيل مع الإسباني الفارو غونزاليس عبر «تويتر».

هذه النقطة السلبية تُضاف إلى نقطة أخرى وهي ميله إلى الاستعراض واستفزاز الخصوم ببعض الحركات غير العادية، وهي نقطة سبق أن ركّزت عليها الصحافة الفرنسية عند وصوله إلى باريس، وفشل ـ بحسب ما يُقال ـ مسؤولو النادي في إخراجه منها، فما كان منهم إلا انتظار وصوله إلى نضوج معيّن حتى يُخرج أفضل ما عنده من دون أن يتسبّب بأذية الفريق.

هو تغيّر بلا شك مع اقترابه من الاحتفال بعيد ميلاده الـ 29 الشهر المقبل. تغيّر أقله لأنه بات مقتنعاً بأن النادي لديه مشروع كبير، وهو مشروع يعدّ نيمار أساسه المتين، وأصبح بدلاً من التفكير بالعودة للعب مع صديقه ميسي يعمل على إقناعه بالانضمام إليه في الصيف المقبل. وهذه القناعة لا بدّ أن تعطيه راحةً أكبر، وهو أمر انعكس من خلال تقديمه أفضل أداء له هذا الموسم، حيث أصبحت فعاليته وتأثيره في المجموعة أكبر بكثير.

هو رجل سعيد بما يقدّمه حالياً وبما يشعر به من أهمية في باريس، لكن السعادة المطلقة والأهمية الأكبر بالنسبة إلى من استثمر به وآمن بمشروعه، هي أن يصبح باريس سان جيرمان مع نيمار دون سواه أفضل فريق في العالم، ويسير على خطى ما فعله محلياً عبر فرض هيمنة أوروبية تضعه في مصاف الأندية العظيمة إلى الأبد.

الألعاب الأولمبية

كورونا يعقّد حسابات لجنة الأولمبياد

تتعرض اللجنة الأولمبية لضغوط كبيرة (أ ف ب)

تعهّد رئيس الوزراء الياباني يوشيهيدي سوغا أمس الجمعة بإقامة الألعاب الأولمبية الصيف المقبل كرمز للوحدة والأمل، على الرغم من الشكوك المتزايدة حول مصير الحدث المؤجل من 2020 بسبب جائحة فيروس كورونا المستجد. وقال سوغا خلال المنتدى الاقتصادي العالمي السنوي الذي أقيم هذا العام عبر تقنية الاتصال بالفيديو، في الوقت الذي يواصل الوباء انتشاره حول العالم «اليابان ستستضيف الألعاب الأولمبية والبارالمبية في طوكيو هذا الصيف». وتابع «أنا مصمّم على إقامة الألعاب التي ستجلب الأمل والشجاعة للعالم، كدليل على انتصار البشرية على الفيروس وكرمز للوحدة العالمية».

الدعم الشعبي في اليابان يتضاءل مع الاقتراب من موعد الألعاب

ولقي إصراره صدى لدى اللجنة المنظّمة المحلّية واللجنة الأولمبية الدولية اللتين كررتا هذا الأسبوع أن الألعاب ستمضي قدماً بأمان.

لكن مع استمرار تأثر العديد من البلدان العالم بتداعيات كوفيد-19 ومناطق عدة في اليابان، بما فيها طوكيو الخاضعة لحالة الطوارئ، يتزايد القلق بشأن إقامة الحدث المقرر انطلاقه في 23 تموز/ يوليو.

وأجّل المنظّمون الخميس أول حدث تجريبي للأولمبياد كان مقرراً في آذار/ مارس بسبب قيود السفر بموجب حالة الطوارئ الناجمة عن الوباء في اليابان.

وكان من المقرر أن تستضيف طوكيو بين الرابع والسابع من آذار/ مارس بطولة السباحة الفنية التي ستشكل في الوقت نفسه التصفيات النهائية المؤهّلة للمسابقة في ألعاب طوكيو الصيف المقبل، وذلك بمشاركة عشر دول في مركز طوكيو للألعاب المائية. وأوضح المنظمون أن المنافسات ستُقام بعد شهرين وتحديداً في الفترة بين الأول والرابع من نيسان/ أبريل المقبل.

وفي كانون الأول/ ديسمبر الماضي، كشف منظمو ألعاب طوكيو 2020 النقاب عن كتاب قواعد لمكافحة الفيروس من 53 صفحة يقولون إنه سيسمح بإقامة الألعاب بأمان من دون لقاح، حتى لو لم يكن الوباء تحت السيطرة بعد. إلّا أن الدعم الشعبي في اليابان يتضاءل مع الاقتراب من موعد الألعاب.

وأظهر استطلاع للرأي أجرته صحيفة «أساهي شيمبون» في نهاية الأسبوع الماضي أن نسبة 11 في المئة فقط من المستفتاة شمل 1647 مشاركاً تؤيد إقامة الأولمبياد هذا الصيف، فيما أيّدت 51 في المئة التأجيل مقابل 35 في المئة مع الإلغاء الكامل.

لا ليغا

الحسم يقترب في إسبانيا ومهمة «ثأريّة» لميسي

سيكون أتليتيكو مدريد أمام فرصة الاقتراب خطوة إضافية من إزاحة جاره اللدود ريال عن العرش والفوز باللقب للمرة الأولى منذ 2014، وذلك حين يحل غداً الأحد (الساعة 17:15 بتوقيت بيروت) ضيفاً على قادش في المرحلة الحادية والعشرين من الدوري الإسباني لكرة القدم.

وتشكّل الأسابيع القليلة المقبلة منعطفاً في الصراع على اللقب، بما أن أتليتيكو الذي يتصدر بفارق 7 نقاط عن جاره ريال و10 عن برشلونة، يخوض مباراته المؤجلة من المرحلة الثانية ضد ليفانتي في منتصف الشهر المقبل في لقاء قد يلعب الدور الفاصل في صعود فريق المدرب الأرجنتيني دييغو سيميوني إلى منصة التتويج.

ويبدو المسار معبّداً أمام «لوس روخيبلانكوس» من الآن وحتى مواجهتهم تشلسي الإنكليزي في ذهاب الدور ثمن النهائي لمسابقة دوري أبطال أوروبا في 23 الشهر المقبل على أرضهم، إذ يخوضون اختبارات في متناولهم تماماً ضد سلتا فيغو، غرناطة وليفانتي مرتين تواليا في 16 و21 منه.

ومنذ خسارته الأخيرة أمام ريال (صفر-2) في 12 كانون الأول/ ديسمبر، فاز أتليتيكو بمبارياته السبع التالية في الدوري، بينها على منافسين قويّين هما ريال سوسييداد وإشبيلية، ما جعله متربعاً على الصدارة بفارق سبع وعشر نقاط تواليا عن ملاحقيه ريال وبرشلونة اللذين خاض كل منهما مباراة أكثر منه (19 للأخيرين مقابل 18 لفريق سيميوني).

ويبدو أتليتيكو مرشحاً بقوة لتجديد فوزه على قادش الذي خسر ذهاباً في العاصمة برباعية نظيفة، بما أن الأخير لم يفز سوى مرة واحدة في المراحل الثماني الأخيرة.

ويقدم فريق سيميوني مستويات مميزة هذا الموسم في الليغا، حيث استقبلت شباكه 8 أهداف فقط في 18 مباراة بينها أربعة فقط في مبارياته السبع الأخيرة.

ويدين أتليتيكو بوجوده في هذا الموقع بشكل كبير إلى الوافد الجديد من برشلونة الأوروغوياني لويس سواريس الذي سجل 12 هدفاً في 15 مباراة خاضها مع فريقه الجديد في الدوري هذا الموسم، آخرها الأحد في الفوز على فالنسيا (3-1) في لقاء كان فريق سيميوني متخلفاً فيه قبل أن يعيده البرتغالي جواو فيليكس إلى الأجواء.

وشدد سيميوني بعد الفوز على فالنسيا على أن «الطريقة المثلى لمواصلة عيش هذه اللحظة، هو أن نتعامل مع كل مباراة على حدة»، متحدثاً عن «منافسة صحية بين لاعبي الفريق (من أجل التواجد في التشكيلة الأساسية)، وهذا ما يجعلنا نفوز، هذا هو معنى الفريق».

وعلى ملعب «كامب نو»، يسعى الأرجنتيني ليونيل ميسي إلى الثأر من الضيف الباسكي أتلتيكو بلباو (الأحد الساعة 22:00) وقيادة برشلونة إلى الفوز السابع تواليا على صعيدي الدوري والكأس.

وغاب ميسي مباراتين عن النادي الكتالوني بعد أن طُرد للمرة الأولى في مسيرته الاحترافية مع الفريق والتي بدأت قبل قرابة 15 عاماً، وذلك خلال لقاء الفريقين في مباراة كأس السوبر المحلية التي فاز بها بلباو بعد التمديد (3-2).

وبعد أن غاب عن مباراتي الدور الـ32 من مسابقة الكأس ضد كورنيا (2-صفر) والمرحلة الماضية من الدوري ضد إلتشي (2-صفر أيضاً)، عاد ميسي الأربعاء إلى تشكيلة المدرب الهولندي رونالد كومان وساهم في قيادته إلى ربع نهائي الكأس على حساب رايو فايكانو (2-1) بإدراكه التعادل قبل أن يخطف الهولندي فرنكي دي يونغ هدف الفوز بعد أن كان أيضاً صاحب هدف التقدم على إلتشي الأحد الماضي. وأشاد كومان بمواطنه الذي «بات الآن لاعباً متكاملاً. فإلى جانب بناء الهجمات من الخلف، فإن قدرته على الوصول إلى منطقة الجزاء في الأوقات المناسبة تساعدنا على خلق الفرص، والأهم من ذلك التسجيل».

وعقب تعادلين في ثلاث مراحل وخروج من نصف نهائي كأس السوبر على يد بلباو ثم الدور الـ32 لمسابقة الكأس على يد فريق من الدرجة الثالثة، استعاد ريال مدريد السبت الماضي توازنه بفوزه الكبير على مضيفه الأفيس (4-1) بغياب مدربه الفرنسي زين الدين زيدان لإصابته بفيروس كورونا، وهو يمني النفس بفوز ثان تواليا حين يستضيف ليفانتي اليوم السبت الساعة (17:15 بتوقيت بيروت).

ميركاتو

ليفربول يسابق الزمن!

أعلن مدرب ليفربول رابع الدوري الإنكليزي لكرة القدم الألماني يورغن كلوب يوم أمس الجمعة، أن فريقه المثقل بالإصابات يبحث عن قلب دفاع لتعويض الغيابات الكثيرة في هذا المركز، قبل ثلاثة أيام من انتهاء فترة الانتقالات الشتوية. وقال كلوب خلال مؤتمر صحافي، «لست متأكداً من وجود قلب دفاع يبلغ سعره 80 مليون جنيه إسترليني (نحو 110 ملايين دولار) في السوق في الوقت الحالي». وذلك قبل المواجهة التي سيخوضها الـ«ريدز» أمام المضيف وست هام يونايتد الخامس (تُلعب المباراة غداً الأحد)، حيث سيفتقد حامل اللقب لخدمات مدافعه الكاميروني جويل ماتيب الذي اضطر المدرب الألماني إلى استبداله عقب نهاية الشوط الأول من المباراة ضد توتنهام في ختام المرحلة العشرين من الدوري بسبب الإصابة.

وأضاف كلوب المحروم أيضاً لفترة طويلة من قطبَي الدفاع الهولندي فيرجيل فان دايك وجو غوميز بسبب الإصابة أن «الفرق لن تبيع لاعبين من هذا المستوى في الوقت الحالي. لكن علينا أن نجد اللاعب المناسب الذي يتناسب مع وضعنا المالي».

ويواصل فان دايك فترة التعافي من إصابة خطيرة في الركبة اليمنى تعرّض لها منتصف تشرين الأول/ أكتوبر الماضي، أما غوميز فيغيب منذ خضوعه لجراحة في الركبة اليسرى في أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر.

وفي مواجهة وست هام، سيغيب عن ليفربول أيضاً وبسبب الإصابة لاعب خط الوسط البرازيلي فابينيو الذي لجأ إليه كلوب لشغل مركز قطب الدفاع منذ إصابة فان دايك، علماً أن البرازيلي غاب أيضاً عن مباراة الأمس ضد توتنهام حيث لجأ كلوب على غرار مبارياته الأخيرة إلى قائده لاعب الوسط جوردان هندرسون للعب في مركز قطب الدفاع.

وفي هذا السياق، أصر الألماني على ضرورة إيجاد حلّ طويل الأمد لمركز قطب الدفاع، رغم أن سوق الانتقالات باتت على وشك إغلاق أبوابها.

وبعدما أصيب في كاحله خلال المباراة التي فاز فيها ليفربول على توتنهام (3-1) الخميس، ينتظر ماتيب نتائج الأشعة لمعرفة مدة غيابه، أما عن فابينيو فقال كلوب إنه «لا توجد فرصة» لأن يلعب في مباراة غد الأحد.

وإضافة إلى هذه الأسماء، غاب عن ليفربول خلال الفترة الماضية كلّ من تياغو ألكانتارا وجوردان هندرسون ومحمد صلاح لفترة من الوقت بسبب التعرض لإصابة عضلية أو فيروس كورونا، وهو ما أدى إلى تراجع نتائج الفريق محلياً.

استراحة

كلمات متقاطعة 3656

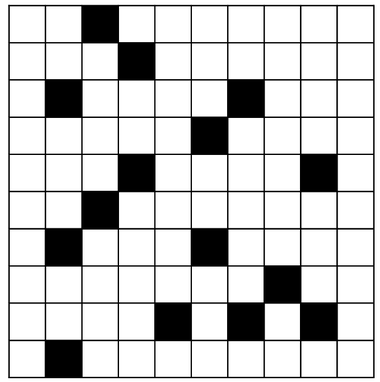

أفقيا

1- أحد الكواكب – ثغر – 2- جامعة مصرية – مدينة فلسطينية – 3- أمور فظيعة – باب عظيم – 4- نهر فرنسي – ممسوس مجنون وخفيف العقل – 5- محتال – حشد أفواج من المدفعية تصبّ نيرانها على هدف واحد – 6- الدار الشامخة المكشوفة والمعقودة السقف – ضاع – 7- عائلة رئيس جمهورية لبناني – فتح الباب على مصراعيه – 8- وشى – يوافقها ويلائمها – 9- عائلة رئيس وزراء بريطاني راحل – 10- مطار فرنسي

عمودياً

1- إحدى ولايات جنوب السودان – 2- جزيرة إيطالية صغيرة – يبيعه الجزار – 3- جزيرة في جنوب الفيليبين – تهيّأ للحملة في الحرب – 4- متشابهان – حُسابي في المصرف بعد التدقيق – 5- ثمر النخل – حرف عطف – من الحيوانات – 6- أحد متصرفي جبل لبنان – 7- للتاوه – كاتب سرياني قديم يُعرف بالأبرص – 8- نوع من البطيخ الأصفر – بلدة لبنانية تاريخية – 9- حلّ العقدة – لمع البرق – هدم الحائط – 10- إعلامي لبناني

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- الشيخ – موز – 2- ماندیلا – في – 3- أرق – اجتماع – لن – فرو – نفق – 5- دكار – جوف – 6- ناي – شب – 7- كوانتس – 8- اب – فرفور – 9- هاون – لو – 10- جورجي جوكوف

عمودياً

1- أم الدنيا – 2- لارنكا – بهو – 3- شيّق – ايك – أر – 4- يد – فر – ولوج – 5- خيار – ما – ني – 6- لجوج – نف – 7- مات – وانترلو – 8- منف – سف – 9- زفاف – ولو – 10- يعقوب صرّوف

sudoku 3656

3				7		4		
	7		8	9		1		2
	9		2			5		
1				3				7
7	5		6		9		4	1
4				2				3
		8			7		2	
5		7		1	2		9	
		6		5				4

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3655

6	4	2	5	1	7	9	3	8
1	5	9	3	8	6	7	2	4
3	8	7	4	9	2	1	6	5
8	9	6	7	5	1	2	4	3
4	7	3	6	2	9	5	8	1
5	2	1	8	3	4	6	9	7
9	6	4	1	7	3	8	5	2
2	1	8	9	4	5	3	7	6
7	3	5	2	6	8	4	1	9

مشاهير 3656

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

كاتب ومترجم وشاعر فلسطيني وُلد في لبنان. درس الصحافة وعمل فيها متنقلاً بين مختلف الصحف، يعمل ويعيش حالياً في الإمارات العربية المتحدة

1+7+6+5+4+9 = ماركة سيارات ■ 11+8+3 = عزيز النفس ■ 10+5+2 = أحرف متشابهة

حلّ الشبكة الماضية: نيك سواردسون

إعداد نعوم مسعود

السيرة الذاتيّة لأمين الجميّل: عندما يصبح الارتهان للخارج «مقاومة» [4]

أسعد أبو خليل *

لا يزال الحديث هنا عن سيرة أمين الجميّل الذاتيّة، والتي صدرت حديثاً بعنوان «الرئاسة المُقاومة: مذكّرات» (والسيرة لاقت استحساناً لدى إعلام الطغاة في الخليج وأفردت صحيفة «الشرق الأوسط»، السعوديّة الصهيونيّة، صفحات طوالاً لها، كما أنّ محطّات تلفزيون لبنان نشرت ندوة له في «بيت المستقبل»، حيث تناوب جورج غانم ومروان حمادة وعمرو موسى على الثناء على المذكّرات، التي أستبعد أن يكون المادحون قد قرأوها، بسبب الملل الفظيع الذي تُحدثه في نفس القارئ. وعمرو موسى يثني على ما يرضى عنه طغاة الخليج ويشوّه سمعة عبد الناصر، وذلك أيضاً خدمة لطغاة الخليج الذين رعوا دوره المشين في الجامعة العربيّة). وعن العلاقة مع العدوّ الإسرائيلي، يتحدّث أمين كأنّه كان سائحاً في لبنان وكأنّ حزب «الكتائب» لم يكن حصانَ طروادة إسرائيلياً مزروعاً في لبنان ويتغذّى على التأجيج الطائفي البغيض وعلى الدعم الخارجي (الغربي والعربي والإسرائيلي) الذي عوّل على ميليشيا الحزب للقضاء على المقاومة الفلسطينيّة واليسار (لا يجب أن ننسى عداء الحزب التاريخي وجرائمه ضدّ اليسار). لا بل تصل بأمين القحّة لأن يقول إنّه حصل على معلومات قبل الاجتياح الإسرائيلي عن قيام ضبّاط إسرائيليّين وعملاء من الـ«موساد» بعمليّات استطلاع على الأراضي اللبنانيّة. لكن كيف حصلتَ على المعلومات، يا أمين؟ من أبيك أم من أخيك أم من ابن عمتك، أم من نسيبك زوج ابنة موريس الجميّل؟ العلاقة مع إسرائيل كانت حزبيّة وعائليّة في آن. ثم، هل كنت أنتَ في منأى عن العلاقة مع إسرائيل عندما كانت بيروت الشرقيّة مرتعاً ومَضافة لضباط وعملاء العدوّ، حيث افتتح أخوك مكتباً في فيلا ليكون مركزاً لـ«الموساد»؟ كيف حصلت على المعلومات؟ ويقول إنّه حذّر حزب «الكتائب» من مغبّة التورّط في حرب إسرائيليّة، لكن ليس هناك من دليل على ذلك إلا في ما يصفه بـ«مدوّنات خاصّة في سجلّ اليوميّات» (ص. 67). لكنّ مصداقيّة أمين مدنّسة جدّاً في هذا الكتاب.

هو مثلاً بارعٌ من دلائل كثيرة وقراءة، يزعم أنّ علاقته مع بشير الجميّل كان ملؤها التفاهم والحب والوئام. هذا غير صحيح البتّة. لقد سألتُ قبل أيّام واحداً من المستشارين القريبين من بشير الجميّل (وهو يعرف أمين أيضاً جيّداً) وأكّد لي أنّ ذلك باطل، باطل. العلاقة بين الشقيقَين كانت سيّئة للغاية، وكانت تشوبها أشهر من الانقطاع والقطيعة، وكان بيار الجميّل يعمل دوماً على جمع ومصالحة الشقيقَين. في الكتاب، يجرّ أمين على الزعم بأنّ اللقاء الأسبوعي بينهم (بيار وأمين وبشير) كان كافياً لتلافي أي إشكالات. لا، لم تكن العلاقة سيّئة للغاية، بل كان أمين غير مرتاح البتّة من الصعود المفاجئ لشقيقه وسيطرته على الجهاز الحربي للحزب بالرغم من ظهور استعراضي لأمين في مجزرة تلّ الزعتر وغيرها من المواقع الحربيّة في زمن الحرب. وكان بشير يسخر من أمين ويذكّر أفراد شلّة بشير ذلك - وإن كان أمين لا يعلم ذلك فإنّه علمَ بذلك للتوّ من هذه الصفحة. وكان بشير لا يثق بهؤلاء الكتائبيّين الذين كانوا قريبين من أمين، فيما حرص أمين بعد اغتيال شقيقه على اجتذاب مستشاري بشير، وذلك لتلافي حصول تمرّد ضدّه (هو مثلاً قرّب جورج فريحة وعبدالله أبو حبيب وزاهي بستاني وغيرهم). وبشير الجميّل شكّل حالة تمرّد، ليس فقط ضدّ أمين وما مثّل في الحزب، بل حتى ضدّ أبيه. أذكر مرّة عندما أتصل والدي (كان ذلك قبل اجتياح 1982) ببيار الجميّل للمساعدة في تحرير مخطوف مسلم في بيروت الشرقيّة، كان جواب بيار أنّ بشير «بطّل يسمع منّي» أو «لم يعد يردّ عليّ». أذكر ذلك وكنت جالساً بقرب والدي أثناء المكالمة. وهناك حادثة كيف أنّ بيار الجميّل كان يستقلّ السيارة ويتوجّه إلى مقرّ القوّات للاحتجاج على سلوك معيّن من بشير، وكان الأخير يختبئ ويرسل من يقول لوالده إنّه غير متواجد (روى ذلك كريم بقرادوني وغيره). وكان لكلّ من بشير وأمين جماعته المستقلّة، لا بل المعادية لجماعة الآخر، وكان لأمين وضع تنظيمي - عسكري خاص في منطقة المتن الشمالي، التي أرادها جزيرة في منأى عن نفوذ بشير وكان ذلك مصدر إزعاج لبشير. طبعاً، كان للولاء العائلي القبلي دور في تمنّع بشير عن اقتحام المتن الشمالي وإخضاعه بالقوّة لسيطرته ونفوذه ولم يرد أن يتسبّب في إغضاب والده. وكان بشير (قبل بعد تنصيبه رئيساً) يريد أن يدفع بمستشاريه الخلّص للانخراط في حزب «الكتائب» لأنّه لم يكن يعتبر أنّ قادته كانوا خاضعين له بما فيه الكفاية.

لا، ويقول أمين إنّ بشير بات يشاركه الرأي في مسألة التحذير من الانخراط في حرب إسرائيليّة ضدّ «منظمة التحرير». كيف شاركك الرأي يا أمين وهو كان يعتمد في وجوده على جيش العدوّ الذي موّل حملته الانتخابيّة (بالمشاركة مع ميشال المرّ)؟ ويقول أمين (الذي كان وجهه يعكس حالة حداد في يوم تنصيب بشير) إنّ بشير طلب منه المساعدة على الانفتاح على الفريق الآخر. لكن ما حاجة بشير إلى ذلك وهو الذي كان يتواصل سرّاً مع المخابرات السوريّة كما أنّ النظام السعودي كان يدعمه ويطلب من وكيله في لبنان، صائب سلام، مساعدته لجعله مقبولاً من المسلمين؟ والسعي الحثيث من صائب سلام لجعل بشير مقبولاً عند المسلمين هو الذي أنهى زعامة صائب سلام في بيروت. (بلغ خبث الدور السعودي أنّ سعود الفيصل طلب من بشير الجميّل، الذي كان مسؤولاً عن مجازر وعمليّات قتل ضدّ الفلسطينيّين في لبنان والذي كان يعد بتحويل المخيّمات إمّا إلى حدائق للحيوانات أو ملاعب تنس، كما أخبر مجلّة «تايم» في حينه - أن يتعهّد بحماية المخيّمات الفلسطينيّة (ص. 68). هذه كان تاتمن الذئب على القطيع. ويردّد أمين الرواية المعهودة كيف أنّ بشير تحوّل إلى «رجل دولة» بعد تنصيبه رئيساً من قبل قوات الاحتلال. يا رجل، لم يمضِ على تنصيبه في الرئاسة إلّا أيّام عندما اغتيل. كيف تلمس تحوّله؟ هل في أنّه بات يرتدي بزّة وربطة عنق وتخلّى عن لباس الميدان (الإسرائيلي)؟ رجل دولة في غضون أيّام؟ رجل الدولة عادة لقب يكتسبه من يقود بلاده في معركة أو من يغيّر الوضع السياسي والاقتصادي في بلاده ويخلق حالة جديدة. صحيح أنّ المصطلح يفتقر إلى العلميّة وهو عادة لقب تسبغه دول الغرب على أدواتها في الدول النامية (حتى السنيورة الذي كان من أكثر رؤساء الوزراء طائفيّة ومذهبيّة في تاريخ لبنان، والوحيد الذي جلب المفتي ليصلّي معه في السراي، وذلك في محاولة لاستثارة العصبيّات المذهبيّة، وهو الرجل الذي قاد معركة غريبة ضدّ مقاومة إسرائيل في لبنان، وكان دوره في حرب تموّز يتركّز على تقويض رصيد حركة مقاومة إسرائيل في لبنان). ويذكر أمين أنّ كامل الأسعد كان من المتحمّسين لـ«انتخاب» بشير، لكنّه ينسى أن يذكر أنّ الأسعد نفسه كان تعهّد في تصريح مبكّر لجريدة «النهار»، في الأيّام الأولى للاجتياح، أنّه لا يمكن دستوريّاً إجراء انتخابات في ظلّ الاجتياح الإسرائيلي، لكنّه بعد اجتماع إقناعي وجيز مع ميشال المرّ غيّر رأيه هكذا فجأة. لا يُعوّل على فتاوى أو آراء من تعرّض لإقناع ميشال المرّ في ذلك الصيف الطويل. ويجرؤ أمين الجميّل على القول إنّ «المقاومة اللبنانيّة» نجحت في إيصال «رمزها إلى رئاسة الجمهوريّة» (ص. 69).

أيّة مقاومة هي هذه التي تكون مرتهنة بالكامل لجيش الاحتلال الأجنبي الذي غزا لبنان. هناك تسميات عديدة يمكن إطلاقها على «القوات اللبنانيّة»، مثل القوات الكويزلينغيّة أو أداة الاحتلال أو صنيعة العدوّ الإسرائيلي، لكنّ كلمة مقاومة تليق بالقوات بقدر ما تليق صفة ثائر برفيق الحريري، وبقدر ما تليق صفة المقاومة برئاسة أمين الجميّل المشؤومة.

ويرد الحديث في الكتاب عن اجتماع نهاريا الذي أصبح في الذهن الانعزالي أسطورة من بطولات القائد. في الحقيقة، ليس هناك ما يشنّع سيرة بشير الجميّل أكثر من هذا اللقاء. هناك سرد تفصيلي له مع محاضر في كتاب جورج فريحة «مع بشير» (وكان فريحة أقرب إلى بشير من أخيه بكتير) وهو بحد ذاته يشرح طبيعة العلاقة بين السيّد والتابع. هذا رئيس جمهوريّة لبنان - طبعاً، هو كذلك فقط بحسب السردية الانعزاليّة لأنّه في عرف الكثير من اللبنانيّين لم يمكن إلا أداة نُصبها العدوّ في قصر بعبدا وبتسهيل اميركي وسعودي، ورعاية من إلياس سركيس، أضعف رئيس في تاريخ الجمهوريّة اللبنانيّة إلى أن صعد ميشال سليمان (مع جوازاته المزوّرة) إلى قصر بعبدا برعاية من فريق 8 آذار، قبل أن يتمرّد ضدّه - وهو يتعرّض للمهانة والذلّ والإذلال والتقريع من رئيس وزراء العدوّ الذي استدعاه كما كان بشير يستدعي مساعديه. في لقاء - أو استدعاء - بشير مع بيغن من العزّة والكرامة ما كان لجلوس سعد الحريري على كرسيّ في الرياض وتلقّي الصفع والركل والضرب والإهانات.

ويرد في الكتاب ذكرٌ للعلاقة التي كان الجميّل يحافظ عليها مع قادة في «منظمة التحرير الفلسطينيّة». وهذا الفصل من تاريخ «منظمة التحرير»، ومن قيادة عرفات تحديداً، يسلّط الضوء على فشل وتقصير وغباء القيادة الفلسطينيّة التي كانت مستعدّة لأن تقفز على جثث شهداء مجازر الكتائبيّين من أجل الحصول على مكاسب صغيرة (في حماة حصار بيروت، زار أمين الجميّل المنطقة الغربيّة واجتمع إلى قادة المقاومة الفلسطينيّة ولم يطلب منه عرفات إلّا تهريب جورجينا رزق إلى بيروت الشرقيّة - كان يمكن لعرفات جعل الحصول على ضمانات دوليّة مكتوبة في شأن المخيمات الفلسطينيّة لكنّه وجد في مسألة تهريب جورجينا رزق أولويّة الأولويّات -). وهناك مراسلات خطّية بين أبو أياد وبين أمين الجميّل (وهناك صور من هذه المراسلات اللقاء. هناك صورة الصفحة في العلاقة تساعد على فهم الكارثة التي كانت قيادة «منظّمة التحرير» و«الحركة الوطنيّة» مسؤولة عنها). هذه قيادات فشلت في معركة تشكيل مقاومة فاعلة ضد إسرائيل، وفشلت أيضاً في الحصول على مكاسب من النضال الدبلوماسي والتذاكي الذي كان ياسر عرفات مزهوّاً به طوال السنوات، إلى أن انتهى محاصراً في مبنى المقاطعة. وهذا الرابط السري الذي حافظ عليه قادة «منظمة التحرير» و«الحركة الوطنيّة» مع القيادات الانعزاليّة، كان خيانة لكلّ تضحيات مقاتلي ومناضلي الحركتَين، ويُعدّ انقلاباً على شعارات وخطب طنطن بها هؤلاء القادة. يناشد أبو أياد أمين الجميّل في رسالة في عزّ حصار بيروت (الذي شاركت فيه القوات الانعزاليّة) ويدعوه إلى عدم المشاركة في «المأساة» كي «لا يُسجّل على آل الجميّل أنهم ساهموا في ضرب القضيّة وذبحها» (ص. 71). ألم يكن أبو أياد على علم بتاريخ آل الجميّل (عائلة بيار وصحبه كي لا نشمل كلّ عائلة الجميّل) في الحرب الأهليّة ومنذ عام 1985؟ إنّ دعوة أبو أياد، الجميّل لتحييد نفسه لا تختلف عن ذهنيّة قيادة عرفات التي آمنت بتحييد الحكومة الأميركيّة. لم تنهزم «منظّمة التحرير» (والحركة الوطنيّة) في صيف 1982، بل هما انتهجتا سياسات ومواقف جعلت من الهزيمة أمراً حتميّاً. ويرتكب الجميّل شناعته الأكبر في محاولته البائسة في تلطيخ سمعة حبيب الشرتوني. يصرّ على أنّ الشرتوني جازف بحياته واخترق حواجز الأمن الكتائبيّة مقابل مبلغ من المال (ص. 72). لا، يا أمين. هناك في هذا العالم مَن لا يرتهن للمال ومن لا ينفّذ عمليّات طمعاً بالنفيس ولا ينحني من أجل القليل أو الكثير من الثروة. هناك يا أمين من لم يجُل على سفارات العرب والغرب في لبنان طمعاً بمال أو نفوذ. الشرتوني انتمى إلى «الحزب السوري القومي الاجتماعي» الذي - اختلفتَ معه أم اتفقتَ - يمثّل واحداً من الأحزاب العقائديّة التي تتطلّب من عناصرها ولاءً وقناعة، وليس إغراءً بالمال على طريقة بعض أحزاب الحركة الوطنيّة والمقاومة الفلسطينيّة (مثل «الصاعقة») والحزب التقدمي الاشتراكي و«فتح» - والدكاكين الفاسدة التي أنشأها عرفات في طول لبنان وعرضه وبأسماء مختلفة، وكانت النافذة التي تسرّب العدوّ منها) التي فتحت المجال أمام عناصرها لارتكاب السرقات والشناعات واستغلال الناس - وحدها الأحزاب الشيوعيّة على اختلافها، والحزب القومي، شذّت عن هذا المسلك المشين وإن وصل بعض الفاسدين والمنتفعين إلى صفوفها. لكنّ الجميّل وقع على هذه الخبريّة ووجدها ملائمة لتغيير حبيب الشرتوني الذي يحظى بتأييد كبير من الشعب اللبناني: ينسى الجميّل أن يذكر، كما ينسى جماعة 14 آذار، أنّ تصنيف بشير الجميّل ليس محلّ إجماع بين الشعب اللبناني، مهما قال عنه في الماضي صائب سلام ومهما تقول أبواق النظام السعودي والإماراتي والقطري في لبنان هذه الأيّام. حبيب الشرتوني مجرم عند الانعزاليّين، وهو بطل بنظر مؤيّدي مقاومة إسرائيل في لبنان (العلمانيّون منهم والدينيّون). ومثل الكثير من مضمون كتاب الجميّل ليس هناك من مصدر لهذه المعلومة، لكن هذا كتاب يوثّق فيه الكاتب ما يرد فيه بالاستشهاد بـ«مدوّنات خاصّة في سجلّ اليوميّات». أي أنّ الجميّل يطلب من القارئ أن يثق به «على العمياني». ثمّ، إذا كان هذا الدافع، فلماذا لم يذكره عهد الجميّل ولماذا لم تذكره مواقع «القوّات» وقادتها إلى الآن؟ هكذا فقط يكتشف الجميّل معلومات جديدة ويذهلنا بها كأنّ كتابه مجموعة من وثائق السبق الصحافي الذي استحصل عليه أمين من «مدوّنات خاصة في سجلّ يوميّاته». الجميّل لا يكتفي بهذا المعلومة، بل يتّهم «القوات اللبنانيّة» بالضلوع، بصورة أو بأخرى، تقصيراً أو تواطؤاً مع الشرتوني. أي أنّ الجميل يريدك أن تقتنع بأنّ الشرتوني وضع المتفجّرة ضدّ صنيعة إسرائيل في لبنان، لأنّه طمع بالمال وذلك بالتواطؤ مع «القوّات اللبنانيّة». أجزم أنّ تحليلات جنبلاط أو فارس سعيد البورازانيّة في العلاقات الدوليّة أقلّ جنوناً وتفلّتاً من تحليل الجميّل هنا.

ويقول الجميّل إنّ بشير تغيّر وإنّه بات في آخر أيامه يحظى بعطف المسلمين. ما دليل أمين هنا؟ إنّ صائب سلام (وكيل الأمير سلطان بن العزيز في بيروت والذي كان كمال جنبلاط يصفه بمناسبة وغير مناسبة بـ«العميل السعودي») أحبّ بشير واستبشر به خيراً (ص. 75)؟ نذكّر أمين بأنّ هناك في المنطقة الغربية من بيروت من اغتبط لمقتل بشير وأنّ الشرتوني يحظى عند كثيرين في لبنان بشعبيّة تفوق شعبيّة أمين نفسه في المتن. وعندما قصدَ البيروتي، فاروق شهاب الدين (وكان مفتاحاً انتخابيّاً لصائب سلام في البسطة) بكفيا للتهنئة بتنصيب بشير، لم يلبث أن تعرّض للاغتيال بعد عودته لأنّ بشير الجميل كان يمثّل نقيض المزاج الشعبي في الكثير من المناطق اللبنانيّة (لا أنكر هنا أنّه كان هناك مزاج شعبي مسلم، في مناطق مختلفة من لبنان، تقبّل بشير الجميل في صيف 1982، وذلك بسبب حالة العداء العنصري التي كانت تسود ضدّ الشعب الفلسطيني آنذاك، والتي كانت مسؤولة عن حالة الترحيب - عند البعض كما أنّه كان هناك هذا البعض في بيروت الغربية كما روى مرة زياد الرحباني في مقابلة قديمة مع تلفزيون لبنان - بجيش العدوّ في جنوب لبنان).

ويناقض الجميل نفسه عرضاً (ص. 75): بعدما كان يحاول إقناعنا بأنّه لم يكن هناك بين بشير وأمين إلّا التفاهم والوئام والحبّ والتفاهم، فإنّه في مقطع يعترف بالخلافات ويقول إنّه منذ انتخابات الرئاسة (أي تنصيب بشير من قبل جيش العدوّ) «ولّى زمن الاختلافات السياسيّة وحان وقت التضامن». أي اختلافات سياسيّة، يا أمين؟ ألم تقل لنا في كلّ ما سبق إنّه لم يكن بينك وبين شقيقك إلّا كلّ تفاهم وودّ وتحاب؟

ويجد الجميّل في ذكره لمجزرة صبرا وشاتيلا ضرورة لاعتناق دعاية العدوّ، إذ يتحدّث بسهولة عن «فدائيّي صبرا وشاتيلا» (ص. 76) وأنّ الاتفاق تناول «إجلاءهم عن لبنان». أي أنّ الجميل يفعل ما لم يفعله جيش العدوّ: جيش العدوّ تنصّل من المسؤوليّة والقى بالائمة على عصابات يمينيّة كان هو قد دربها على جرائم الحرب، لكنّه لم يجد الوقاحة في تبرير الجريمة نفسها. هذه فعلها الجميّل بالنيابة عن العدوّ إذ يقول إنّ «منظمة التحرير» أخلّت بالتزاماتها عندما لم تجل «فدائيّي صبرا وشاتيلا» عن مخيميّ صبرا وشاتيلا. الجميّل يسوّغ هنا للعدوّ وأدواته جريمة الحرب. لكنّه يستدرك فيقول إنّ قادة حرب العدوّ، شارون ورفول إيتان (ينادي قائد أركان جيش العدو باسم الدلع له) لم يريدوا «التورّط مباشرة في عمليات تنظيف الأحياء الداخليّة والتجمّعات السكنيّة الفلسطينيّة والتي توقع الكثير من الضحايا المدنيّين والعسكريّين، وتنال بالتالي من سمعة إسرائيل ومعنويات جيشها» (الصفحة نفسها). كاتب هذه الكلمات كان رئيساً لجمهورية لبنان ويُطلق في الكتاب وصف «المقاوم» على نفسه، وهو لقب لم يطلقه عليه أحدٌ من قبل، ولا حتى الانعزاليّون أنفسهم.

(يتبع)

* كاتب عربي (حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

(هيثم الموسوي)

ندوة العمل الوطنيّ: معاً ضدّ التشرذم والاضمحلال

تتوجّه «ندوة العمل الوطني»، في هذا الظرف الخطير الذي يتخبّط فيه ناس الوطن، ومن التزام «الندوة» بالمنطلقات التي نهضت عليها منذ أكثر من أربعين سنة، والتي أرساها لها منهجُ دولة الرئيس الدكتور سليم الحُصّ، إلى اللبنانيين جميعاً، كلٌ في موقعه وضمن مسؤولياته، بدءاً من مقام فخامة رئيس الجمهوريّة، وهو وفاقاً للدستور، رمز الدولة؛ ومن السلطة التشريعيّة، ممثّلة، بالمجلس النيابي، عبر دولة رئيسه المؤقّر؛ ومن السلطة التنفيذيّة، ممثّلة بحكومة تصريف الأعمال الراهنة، عبر دولة رئيسها المُكرَّم؛ ومن دولة الرئيس المكلَّف تشكيل الحكومة العتيدة؛ وكذلك من أهل السياسة والفِكر والثقافة والاجتماع كافّةً، بأشخاصهم وممثّلين، كذلك، بمؤسّساتهم وهيئاتهم النقابيّة، ومن سائر الشعب اللبناني، بـ«الكتاب المفتوح» التالي:

أيُّها اللبنانيون،

إنّ في ما يشهده بلدنا حالياً، وتعيشه غالبية اللبنانيين الساحقة، من تشرذم سياسيٍّ وقلق مصيريٍّ وطنيٍّ وسياسيٍّ واضطرابات أمنيّةٍ، ما انفكّت تتفاقم حالياً في أنحاء عدّة من البلاد؛ ما هو إلّا النتيجة الحتميّة والمباشرة، لما تعانيه الدولة من تراخٍ غير مسؤولٍ تجاه أي سعيٍ جادٍّ إلى تشكيل حكومةٍ تعمل على لَجْم الانكفاء السياسي العام الحاصل، وما يلحق به من نُكوصٍ مرعب، في مساحات الفاعليّة الإيجابيّة، للمجالات الماليّة والاقتصاديّة والصحيّة. إنّ في هذا جميعه، ما يؤكّد، للقاصي والداني، أنّ البلد مُقبلٌ، بكُلّيّته، على اضمحلالٍ معنوي وعُسْر سياسي وفقر مالي وضعف اقتصادي وبؤسٍ اجتماعي، لم يشهد تاريخُه العريقُ لأيٍّ منها مثيلاً.

ترى «الندوة» أنّه وإن كان كثير من أهل الفكر في لبنان قد حذّروا، وطيلة عقود من الزمن، من أنّ الوضع العام في البلد ينجرف نحو شفير الهاوية؛ فها أنّ اللبنانيين، على اختلاف مناطقهم وتنوّع توجّهاتهم السياسية، لا يجدون ذواتهم وأعمالهم وتطلّعاتهم إلّا وقد صارت في الهاوية، وليس عند شفيرها على الإطلاق. وإنْ كان بعضٌ من أهل الرأي والعاملين في الحقل العام، يرى أنّ لا جدوى من أيّ إصلاحٍ، في ظلّ نظام المحاصَصة الطوائفيّة الفاسِدِ المعمول به حالياً؛ وأن لا مناص من تركه يتهاوى.

> إنّ ما يشهده بلدنا حالياً ما هو إلّا نتيجة ما تعانيه الدولة من تراخٍ غير مسؤولٍ تجاه أي سعيٍ جادٍّ إلى تشكيل حكومة

إنّ هذا التوجُّه لا يمكن أن يكون مؤشّرَ خيرٍ إلى فاعليّة مبادئ «المواطنة» ومفاهيمها، التي تؤمن بهما «ندوة العمل الوطني» منذ تأسيسها، ركيزةً لا غنى عنها للنهوض الوطني والسياسي والاجتماعي في لبنان؛ إذ بات واضحاً، لكثير من اللبنانيين، أنّ الهاوية التي وقع الوطن في مزالقها، ليست سوى هاويةٍ لا قعر لها ولا قرار؛ بل هاويةُ انحدارٍ مستمرٍّ وانحدارٍ متعاظم، لا مُنتهى لها إلّا بتلاشي كلّ ما قام عليه لبنان من رؤىً حضاريّةٍ وقِيَمٍ ثقافيّةٍ ومفاهيم وطنيّة. وإنّ «ندوة العمل الوطني»، مِن الذين يرون بأنّهُ يقتضي النهوض إلى العمل الجاد، في سبيل إرساءِ عمليٍّ لنظامٍ سياسي بديل، يهدف في آخر المسار، إلى بناء دولةٍ مدنيّة ديمقراطيّة، على أُسس حكم القانون والعدالة والتنمية والثقافة النهضويّة ومقاومة العدوّ الصهيوني الغاصب.

من هنا، فإنّ «ندوة العمل الوطني»، تتساءل، مع غالبيّة اللبنانيين، إذا ما كانت الجماعات المتحكّمة بسلطة القرار الرسمي في البلد، باتت غير قادرة على الوقوف بحقٍّ عند ما تفرضه عليها مسؤوليّاتها، في تَنكُّب مقاليد السلطة واتّخاذ القرارات باسم الشعب في لبنان؛ فإن «الندوة» تؤكد على الحاجة الوطنيّة القصوى إلى العمل على تأمين ضروريات المعيشة، بتنظيم دعم الرغيف والدواء وضروريات الحياة الأخرى؛ كما ضرورة النظر في موضوع تعديل قانون الانتخاب ليكون أكثر عدالة وتمثيلاً.

بناءً عليه،

إنّ «ندوة العمل الوطني»،

وتأسيساً على التوجُّه العام للدستور اللبناني، القائم على أنّ «الشعب هو مصدر السلطات»؛

ومن خلال تطبيق الأصول المعاصرة للمفاهيم الديمقراطيّة، التي تحترمُ مفاهيم الحرية والمساواة وتكافؤ الفرص؛

وانطلاقاً من مفاهيم «المواطنة» التي تؤمن بها «الندوة»، وتسعى إلى تحقيقها، في بلد يتساوى فيه جميع أبنائه في الحقوق والواجبات، ضمن المبادئ السامية للعيش الإنساني المعاصِر؛

تدعو اللبنانيين جميعاً، إلى التلاقي الوطني الفعلي والجامِع، معها: في قيام «مؤتمر وطنيٍّ دائم»، ينهضُ إلى تحقيق مبادئ «المواطنة» وقِيَمِها ومفاهيمها، وضمن معطيات الدستور اللبناني؛ للعمل المشترك والمنظّم لخلاص البلد ممّا يعانيه، والسعي الرصين والمسؤول إلى نجاته من مآسي هذا الوقوع الضالّ والمُخزي والخاسر في هوّة انحدارٍ عامٍّ لا قرار لها، وذلك بالعمل الفوري، على تشكيل حكومة قادرة على:

1) التأمينُ الفوري لضروريات المعيشة، بتنظيم دعم الرغيف والدواء وسائر الضروريّات التي لا غنى للإنسان عنها.

2) متابعة التحقيق الجدّي والمسؤول والشفّاف في مسألة الأموال المنهوبة والتفجيرات التي حصلت في مرفأ بيروت.

3) النظر في موضوع تعديل قانون الانتخاب ليكون أكثر عدالة وتمثيلاً.

عشتم وعاش لبنان

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير - المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15- 01/666314 - 03/828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

الحدث بقرارها تعليق صفقات السلاح التي أبرمتها إدارة دونالد ترامب مع السعودية والإمارات، تُوجّه الإدارة الأميركية الجديدة رسالة مفادها بأن أسلوب «اللعب على المكشوف»، الذي ساد في المرحلة السابقة، انتهى إلى غير رجعة. لكنها إشارات لا يمكن، بأيّ حال من الأحوال، البناء عليها لاستشراف «انقلاب» مرتقب في المشهد، إذ هي أقرب ما تكون إلى تفعيل سياسة «القيادة من الخلف»، لغاية تبلور الشكل النهائي لتحالفات واشنطن والتنازلات المبتغاة من شركائها الذين تعتزم استشارتهم في كلّ شاردة وواردة تخصّ الإقليم، فضلاً عن ملفّاتها العالقة، وفي مقدّمها الحرب المتواصلة على اليمن

تسليح السعودية والإمارات معلّق نهاية «اللعب على المكشوف»

وفّعت الإمارات خطابات الاتفاق الخاصة بالصفقة في اليوم ذاته الذي نُصّب فيه بايدن (أ ف ب)

افتتحت إدارة الرئيس الأميركي، جو بايدن، مسار تقييم أفاق العلاقات مع حلفائها الخليجيين القلقين إزاء المتغيّرات التي يمكن أن تطرأ على سياسات واشنطن في المنطقة. مسارٌ أطلقته بُعيد قرارها تعليق صفقات السلاح «مؤقّتا» للسعودية والإمارات، وهي خطوة يُحتمل أن تفتح الباب أمام إلغائها، خصوصاً أن البيت الأبيض وضع وقف المشاركة الأميركية في الحرب على اليمن كمقدّمة لإنهائها، من ضمن الأولويات التي يعتزم التركيز عليها في المرحلة الأولى من رئاسة بايدن. ولم يزد فشل الرياض وأبو ظبي في هذا المضمار، والغطاء الأميركي الذي ظلّل عمليّتهما العسكرية، طوال السنوات الستّ الماضية، الإدارة الجديدة إلّا تمسُّكاً بما صارت بدأت باكراً في الكونغرس الأميركي الذي سعى، من دون نتيجة، لتعطيل صفقات الإدارة السابقة، فضلاً عن اشتغاله، منذ نهاية عام 2018، على مجموعة مشاريع قوانين تدين القيادة السعودية لدورها في جريمة اغتيال جمال خاشقجي، وحرب اليمن.

ربط البيت الأبيض، أول من أمس، قرار تجميد صفقة بيع مقاتلات «إف-35» للإمارات وذخائر للسعودية، بضرورة التأكّد من أنها تلبّي الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة، بما في ذلك البحث عن طريقة لإنهاء الصراع في اليمن، واعداً بإجراء مراجعة للسياسات المتعلّقة بالتسليح، فضلاً عن تلك المرتبطة بالتزامات واشنطن في إطار «اتفاقات أبراهام». صحيح أن إدارة بايدن لم تتوانَ عن دعم الاتفاقات التطبيع التي تريد البناء عليها، لكنّها لا تبدو متحمّسة إزاء «الهدايا» التي حصّلها المطبّعون

> **وعدت واشنطن بإجراء مراجعة للسياسات المتعلّقة بالتسليح، وبالتزاماتها في إطار «اتفاقات ابراهام»**

لقاء «السلام» مع تل أبيب، لا سيّما أن وزير الدفاع الأميركي، لويد أوستن، جدّد، في أعقاب قرار وزارة الخارجية، التزام الولايات المتحدة بالحفاظ على التفوّق العسكري النوعي لإسرائيل في المنطقة. وعلى رغم المؤشّرات الكثيرة إلى احتمال إلغاء الصفقة مع الإمارات، إلّا أن سفير أبو ظبي في واشنطن، يوسف العتيبة، كان يتوقّع أصلاً، كما قال، أن تراجع الإدارة الجديدة السياسات الأميركية الحالية. وفي سلسلة تغريدات على «تويتر» أكّد أن المعدّات التي ستحصل عليها بلاده ستسمح لها بالحفاظ على رادع قوي للعدوان، مضيفاً أنه في موازاة الحوار الجديد والتعاون الأمني، فإن بيع هذه المعدّات العسكرية يساعد على طمأنة الشركاء الإقليميين، واشنطن الجديدة تعتبره إجراءً متزايداً لا ينقصها في الوقت الراهن. فلا هرولة أبو ظبي إلى إتمام صفقة الـ«إف-35» في العشرين من الشهر الجاري - أي في اليوم ذاته لتنصيب بايدن -، بهدف وضع البيت الأبيض أمام الأمر الواقع وتحصيل غرامات لقاء أيّ إلغاء محتمل للصفقة، ولا مفاخرتها المستمرّة باتفاق التطبيع الذي لم تَجنِ من ورائه أيّ مكسب سوى «السلام مقابل السلام»، كما عاد وذكّر رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، قبل يومين، ولا حتى تقليلها من أهميّة الخطوة الأميركية «الروتينيّة»، من شأنها تجاوز واقع اعتزام الإدارة الجديدة تقييم العلاقات مع هذين البلدين، بما يتناسب مع أولوياتها في المنطقة. ويترافق ذلك مع حملةٍ عسكرية في حكومة «الإنقاذ»، لـ«الأخبار»، أن قوات الجيش و«اللجان الشعبية»، بمختلف تخصّصاتها، لا تجد حرجاً في الإعلان عن كلّ عملياتها التي تستهدف العمق السعودي، وهي أعلنت على لسان متحدّثها العسكري، العميد يحيى سريع، استهداف العمق السعودي والإماراتي خلال السنوات الخمس من عمر العدوان بأكثر من 400 صاروخ بالستي. وتشير المصادر إلى أن العمليات الجوية التي شنّها سلاح الجو اليمني، العام الفائت، ضدّ أهداف سعودية، بلغت 342، 75 منها بصواريخ بالستية و267 بالطيران المُسيَّر. وتضيف إن معظم تلك العمليات، التي طاولت مطار أبها ومطار الملك خالد الدولي وشركة «أرامكو» في جيزان وجدة وغيرهما، تنفيذها قبل أن يعترف بها الجانب السعودي. كما لم تمتلك السعودية الجرأة للاعتراف بتعرّضها للعديد من الضربات الجوّية الموجعة خلال العامين الماضيين. ومع ذلك، دأبت، أخيراً، على اتهام حركة «أنصار الله» بالوقوف وراء عدد من الحوادث والعمليات البحرية والجوية لكسب المزيد من التعاطف العالمي، وتحريض الرأي العام الدولي ضدّ صنعاء.

> **دأبت السعودية، أخيراً، على اتهام «أنصار الله» بالوقوف وراء عدد من العمليات البحرية والجوية**

الرياض، التي تدخّلت كـ«وسيط سلام» في اليمن لأوّل مرة عام 2011، استطاعت، خلال فترة رعايتها لـ«المبادرة الخليجية» ما بين عامَي 2012 و2014، إضعاف الجيش اليمني وتفكيك القوة الصاروخية اليمنية وتعطيل منظومة الدفاع الجوّي، ضاربة بذلك كلّ مكامن القوة العسكرية اليمنية، وصولاً إلى تدمير أكثر من 2500 صاروخ «سام 1» و«سام 2» في الساحل الغربي وقاعدة العند. لحق ذلك إطلاقُ السعودية، عام 2015، العدوان على هذا البلد، والذي فشلت فيه في تحقيق أيّ أهداف على الأرض، ورفضت، على رغم ذلك، الرياض التعاطي بإيجابية مع العديد من مبادرات السلام التي أطلقتها حركة «أنصار الله». وإلى اليوم، لا تزال تسير على النهج نفسه، والذي انتهى بها أخيراً إلى التحريض على تصنيف الحركة كجماعة «إرهابية»، ومن ثمّ السعي عنها وتوعّدها الرياض بالمزيد، وحقيقة تحوّل الأجواء السعودية إلى أجواء مفتوحة أمام أيّ طرف ثالث، إلّا أن الرياض ظلّت مصرّة على اتهام «أنصار الله»، بهدف الحيلولة دون تراجع الخارجية الأميركية عن قرار إدراج «أنصار الله» في قائمة الإرهاب، وخصوصاً بعدما أجّلت وزارة الخزانة الأميركية، الاثنين الماضي، تنفيذ القرار، مُعلِنةً استمرار التعامل مع الحركة من دون أيّ قيود حتى أواخر الشهر المقبل. وكانت السعودية قد استغلّت الهجوم الذي استهدف مطار عدن أثناء عودة حكومة الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي الجديدة، إلى المدينة أواخر الشهر الفائت، كاحد «الأدلّة» التي استندت إليها إدارة الرئيس الأميركي السابق، دونالد ترامب، في قرارها ضدّ «أنصار الله»، على رغم قيام المملكة، عبر «برنامج إعادة الإعمار» الذي يرأسه سفيرها في اليمن محمد آل جابر، بطمس معالم الجريمة خلال أقلّ من 48 ساعة، ومنعها حكومة هادي من تشكيل أيّ لجنة للتحقيق.

كما أنه يمكّن أبو ظبي من تحمّل مزيد من العبء الإقليمي للأمن الجماعي. أمّا إسرائيل، التي يضحك مسؤولوها في سرّهم، فهُوّنت من خطوة المراجعة التي تجريها إدارة بايدن لمبيعات السلاح، لا سيما للإمارات التي ارتبطت صفقتها بالتطبيع. في هذا الإطار، قال رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو، في ردّه على أسئلة الصحافيين عن احتمال أن تتسبّب المراجعة بانتكاسة لجهود تل أبيب في إقامة علاقات مع أبو ظبي ودول عربية أخرى: «لا أعتقد. أرى أننا تجاوزنا نقطة اللاعودة»، مضيفاً: «يرى الجميع مزايا ضخمة هنا. إنه السلام مقابل السلام... أعتقد أنها ستمضي إلى الأمام».

وبعد يومين من تنصيب بايدن، أعلنت الإمارات أنها وقّعت خطابات الاتفاق الخاصة بالصفقة في آخر أيام رئاسة دونالد ترامب من أجل شراء ما يصل إلى 50 مقاتلة «إف-35» بقيمة 10,4 مليارات دولار، و18 طائرة مسيّرة مسلّحة من طراز «إم كيو 9 بي» بقيمة 2,97 مليار دولار، وذخائر مختلفة بقيمة 10 مليارات دولار، في صفقة بقيمة إجمالية تبلغ 23 مليار دولار، حصلت على تعهّد بإتمامها في اتفاق جانبي، عندما وافقت على تطبيع علاقاتها مع أبو ظبي ودول عربية أخرى: «لا أعتقد. أرى أننا تجاوزنا نقطة اللاعودة»، مضيفاً: «يرى الجميع مزايا ضخمة هنا. إنه السلام مقابل السلام... أعتقد أنها ستمضي إلى الأمام».

وبعد يومين من تنصيب بايدن، وافق «أنصار الله» على إطلاق سراح الأسيرين السعوديين اللذين كانت قد أعلنت عن أسرهما في وقت سابق، وهو ما اعتبرته الحركة «خطوة حسن نية» تجاه الإدارة الجديدة، وتلاه إعلان الأمم المتحدة عن اتفاق لتبادل الأسرى بين الطرفين، وهو ما يُعدّ أكبر عملية تبادل أسرى منذ بدء الحرب. وفي الوقت نفسه، أعلن وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، أن بلاده ستنهي دعمها للعمليات الهجومية في اليمن، بما في ذلك بيع الأسلحة، وأن واشنطن ستعيّن مبعوثاً خاصاً إلى اليمن، في خطوة تعكس تغيّراً في نبرة الإدارة الجديدة تجاه الحرب، وتعهّدت بالعمل مع الأمم المتحدة لإنهاء الصراع. وفي أعقاب ذلك، أعلن مسؤولون أميركيون أن الإدارة الجديدة ستعيد النظر في قرار تصنيف جماعة «أنصار الله» في اليمن كـ«منظمة إرهابية أجنبية»، وهو ما يمكن أن يسهّل وصول المساعدات إلى البلد الذي يعاني أسوأ أزمة إنسانية في العالم.

تسعى الرياض إلى إبقاء قرار تصنيف «أنصار الله» كجماعة «إرهابية» قائما (أ ف ب)

صنعاء تراقب «الشدّ والجذب» لا أمل للرياض

تراقب صنعاء، بارتياح، استماتة الرياض في الإبقاء على القرار الأميركي تصنيف «أنصار الله» «جماعة إرهابية»، مؤكدة، في مقابل ذلك، أن سياسة التجويع لن تفلح في تحقيق ما عجزت آلة القتل عن إنجازه.

صنعاء ــ **رشيد الحداد**

لم تكن صنعاء صاحبة الطلقة الأولى في هذه الحرب التي تشارف على دخول عامها السادس. لكنها، وهي التي تمكّنت من تغيير المعادلة العسكرية برّاً وجوّاً وحقّقت توازن ردع فاق كلّ تصورات الرياض خلال السنوات الماضية في دفاع مشروع عن النفس كفلته القوانين الدولية للشعوب المعتدى عليها، تملك زمام المبادرة، ليس في اختيار الأهداف واستهدافها في الوقت والمكان المناسبين فحسب، وإنما في الإعلان عن عملياتها المنفّذة والسلاح المستخدم فيها إن كان الهدف داخلياً أو خارجياً.

في هذا السياق، تؤكّد مصادر مصر إلى نهاية المطاف، بل هو، كما تنقل مصادر مطّلعة، «نتيجة التمادي في التجاوزات والعمل سواء عبر قناة الجزيرة وطريقة تعاملها مع تطوّرات أزمة الباحث الإيطالي جوليو ريجيني وليس أخيراً ذكرى ثورة يناير، أو على المستوى الدبلوماسي مع وجود كثير من القضايا العالقة بين البلدين على رغم إعلان إعادة افتتاح السفارة المصرية لدى الدوحة وفتح المجال الجوي أمام الطيران القطري».

في التفاصيل، جرت خلال الأيام الأخيرة اتّصالات مكثّفة بين الخارجية المصرية وأجهزة أمنية في الدولة من جهة، والإمارات والبحرين من جهة أخرى، وارن، بقرار إدارة بايدن تعليق هذه الصفقات لمراجعتها، وافتةً إلى أن السعودية والإمارات مسؤولتان عن استمرار المأساة الإنسانية في اليمن من خلال حملة قصف لا معنى لها منذ سنوات. في الإطار ذاته، جاء ردّ السناتور الديموقراطي، كريس مورفي، إذ علّق على الخطوة الأميركية بالقول إن الأسلحة التي باعتها بلاده للرياض وأبو ظبي «استُخدمت لقتل أطفال المدارس، وجرى تحويلها إلى ميليشيات متطرّفة، فضلاً عن أنها غذّت سباق تسلّح خطيراً في الشرق الأوسط». وأضاف مورفي أن التعليق هو الخطوة الصحيحة، وأن الوقت قد حان لإعادة النظر في علاقات واشنطن مع الحلفاء الخليجيين.

(الأخبار)

تقرير مع استمرار قطر في ما تقول مصر إنها «تجاوزات» بحقها، ورفض تميم بن حمد زيارة القاهرة لفتح صفحة جديدة، تستعدّ الأخيرة لإنهاء الهدنة التي فرضتها «قمّة العلا» مع الدوحة، والبدء بسلسلة إجراءات تصعيدية من شأنها تهديد «المصالحة الخليجية» التي لم تنبنِ على أسس متينة أصلاً

أمير قطر يرفض زيارة القاهرة
غضب مصري يهدّد «المصالحة الخليجية»

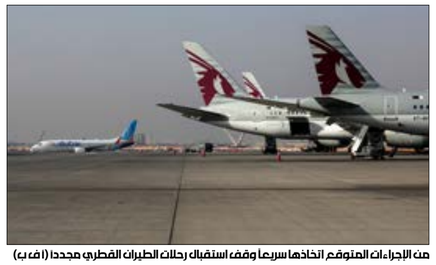
من الإجراءات المتوقع اتخاذها سريعاً وقف استقبال رحلات الطيران القطري مجدداً (أ ف ب)

القاهرة ــ **جلال خيرت**

انتهت حالة الترقّب بين مصر وقطر منذ توقيع «بيان العلا» لإنهاء المقاطعة بين الأخيرة و«الرباعي العربي». أمس، قرّرت القاهرة الدخول في مواجهة مع الدوحة، سواء بانفراد أو بتنسيق غير واضح المعالم مع أبو ظبي. ويُتوقّع أن تعود السجالات على المستوى الرسمي خلال الأيام القليلة المقبلة، على نحو يُنذر بمقاطعة مصرية تعيد تأزيم العلاقات التي لم تشهد تحسّناً، منذ الإطاحة بنظام «الإخوان المسلمين» في منتصف 2013، إلّا لأسابيع قليلة فقط.

حالة الهدنة وحتى المغازلة انتهت رسمياً، والحرب الإعلامية ستزداد، خاصة مع تحفّظ القاهرة على التصرّفات القطرية وما تراه «تجاوزاً» بحقّ النظام المصري، فضلاً عن أنه لم يتمّ الوصول إلى اتّفاقات أو تسويات في عدد من القضايا المعلّقة. والغضب ليس بسبب سعي قطر إلى إنهاء مشكلاتها مع السعودية أولاً، وتأجيل البحث في تطوّرات العلاقة مع واشنطن، بل لأن الدوحة تعتقد أن القاهرة «تبحث عن ثمن» لتقديمها خدمة للسعودية، وهو ما ترفضه الأخيرة.

> **عادت الاتّهامات المصرية للدوحة مجدّداً بوصفها «راعياً للإرهاب وجماعة الإخوان»**

هكذا، عادت الاتهامات المصرية للدوحة مجدّداً بوصفها «راعياً للإرهاب وجماعة الإخوان»، فيما نشطت اللجان الإلكترونية التي تديرها المخابرات القطرية. كما استقبل مكتب السيسي، أمس، سيناريوات مقترحة للتصعيد خلال الأيام المقبلة، وفق تقديرات تشرح الخطوات وتُفنّدها، وتدرس الاحتمالات كافة قبالة ما وصفته التقارير بـ«التوجّهات العدائية المحتملة من النظام القطري». أمّا الإمارات التي كان لديها تحفّظ من البداية على المصالحة، فتُتابع الخطوات المصرية، علماً أنها كانت شريكاً في بعض النقاشات خلال الأيام الماضية، على رغم أن المصادر تشدّد على أن مصر «لا تنتظر موافقة مسبقة من أبو ظبي... مع سقف محدّد للقرارات المنفردة التي دخل بعضها حيّز التنفيذ بالفعل خلال الساعات الأخيرة». وسط ذلك، بدأت الكويت، وسيط الاتفاق، فتح قنوات للتواصل مع القاهرة على رغم انشغال الديوان الأميري بالأزمة بين الحكومة والبرلمان، لكن المسؤولين المصريين يطالبون بالضغط على قطر لتقديم بعض التنازلات العلنية وليس أقلّها ما يتعلّق بخطاب «الجزيرة».

تقرير تتواصل المراجعات الأميركية للسياسات المُتّبعة من قِبَل الولايات المتحدة في سوريا، والتي تتّفق جميعها على فشل «استراتيجية الخنق» في تحقيق أهدافها، بل وإتيانها بنتائج عكسية، داعية إلى مقاربة مغايرة لكيفية حماية «مصالح» واشنطن في هذا البلد

العقوبات ليست خياراً
وصفات أميركية
لإنهاء الفشل في سوريا

يتصاعد الجدل في الولايات المتحدة حول الاستراتيجية التي يجب أن تنتهجها الإدارة الأميركية الجديدة، بقيادة جو بايدن، في سوريا. وهو جدل كان قد بدأ منذ ما قبل تسلّم بايدن مهمّاته، وانخرط فيه معظم المسؤولين الأميركيين السابقين والباحثين والمختصّين، ممّن عملوا في الملف السوري. في هذا السياق، يبرز ما أدلى به جيفري فيلتمان وهرابر بالميان، والأول هو وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون السياسية سابقاً، كما شغل العديد من المناصب في وزارة الخارجية الأميركية، من ضمنها مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى؛ أمّا بالميان، فهو مدير سابق لبرنامج حلّ النزاعات في مركز «كارتر»، وعمل في البلقان وأوروبا الشرقية والدول المستقلّة والناشئة عن الاتحاد السوفياتي والشرق الأوسط وإفريقيا، وفي المنظّمات الحكومية الدولية (الأمم المتحدة ومنظّمة الأمن والتعاون في أوروبا)، والمنظّمات غير الحكومية (مجموعة الأزمات الدولية وغيرها). وتحدّث المسؤولان، في مقالهما المشترك الذي نشر في موقع «Responsible Statecraft»، عن السياسة الأميركية والغربية التي اتُّبعت في سوريا منذ عام 2011، كما عن المصالح الأميركية هناك، والعقوبات الاقتصادية وجدواها، والخيارات المستقبلية أمام إدارة بايدن.

مصالح واشنطن

في البداية، قوّم الكاتبان السياسة الأميركية السابقة في سوريا، واعتبرا أنها باءت بالفشل، ولم تُحقّق المصالح الأميركية، كما لم تساعد على استقرار البلاد وإنهاء النزاع. وحدّد الكاتبان المصالح الأميركية في سوريا بأنها «تشمل القضاء على التهديد الذي تُشكّله الجماعات الإرهابية، ومنع استخدام الأسلحة الكيماوية وانتشارها، وتخفيف معاناة ملايين المدنيين الذين مُزّقت حياتهم بسبب مزيج من الحرب والقمع والفساد والعقوبات». وبالإضافة إلى ذلك، «تُعدّ سوريا نقطة اشتعال للصراع بين القوى الخارجية، بما في ذلك صراع الولايات المتحدة وروسيا، وإسرائيل وإيران، وروسيا وتركيا، وصراع تركيا والجماعات الكردية المدعومة من قِبَل الولايات المتحدة، وهناك اهتمام آخر مهمّ وهو عبء اللاجئين على البلدان المجاورة وأوروبا، حيث تستمرّ الهجرة الجماعية في تأجيج ردود الفعل».

فشل سياسة العقوبات

يتّفق الكاتبان على أنه «باستثناء التصدّي لتهديد داعش في شمال شرق سوريا، يمكن القول إن السياسة الأميركية بشأن سوريا منذ عام 2011 فشلت في تحقيق أيّ نتائج إيجابية». من هنا، تنبع ضرورة إحداث تحوّل في تلك السياسة. ويرى فيلتمان وبالميان أن «السياسة الحالية القائمة على عزل سوريا وفرض العقوبات عليها، نجحت في شلّ اقتصاد البلاد المدمّر أصلاً جرّاء الحرب، إلا أنها فشلت في إحداث أيّ تغيير في سلوك (الحكومة السورية)». فالجهود التي بُذلت سابقاً لتدريب مجموعات المعارضة وتزويدها بالمعدّات والسلاح للضغط على الرئيس بشار الأسد وحمله على تغيير مساره أو التنحّي عن السلطة، «باءت بالفشل أيضاً، لا بل إن تلك السياسات ساهمت في زيادة اعتماد سوريا على روسيا وإيران»، بحسبهما. كما أدّت عقوبات الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي إلى «إحداث تدهور حادّ في العملة السورية، وساهمت في انهيارها كاملاً، لكنها لم تُضعِف الدعم الرئيسي للأسد من قِبَل جمهوره المحلّي، ولم تُغيّر سلوك النخبة الحاكمة»، بل هي «وضعت الولايات المتحدة على الهامش، وجعلت كلّاً من روسيا وتركيا وإيران المتحكّمَين الرئيسيين بمستقبل سوريا».

في غضون ذلك، توقّفت الجهود الدبلوماسية التي تقودها الأمم المتحدة في جنيف، والتي تركّزت على الإصلاحات الدستورية. والأسوأ من ذلك، بحسب الكاتبين، أن «العقوبات المطبّقة على سوريا تؤدّي بشكل غير مباشر إلى عواقب إنسانية كبيرة، من خلال تعميق وإطالة بُؤس السوريين العاديين، وتمكين مستغلّي الحرب، وتدمير الطبقة الوسطى السورية التي تعدّ عاملاً مهماً للاستقرار والإصلاح الطويل الأمد، وفي المقابل من الصعب الافتراض أن من يقود سوريا اليوم يعاني بسبب هذه العقوبات».

خيارات أمام إدارة بايدن

انطلاقاً مما تقدّم، يطرح الكاتبان ما يريانه الخيار الأفضل أمام إدارة بايدن. وهو يتلخّص في «بدء عملية دبلوماسية جديدة تهدف إلى تقديم إطار عمل مفصّل لإشراك الحكومة السورية في مجموعة محدودة من الخطوات الملموسة والقابلة للتحقّق، والتي في حال تنفيذها، ستقابلها مساعدة موجّهة وإعادة نظر في العقوبات من طرف الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي». والهدف من هذا الإطار الجديد، بحسب الكاتبين، هو «وقف دوّامة الانحدار في سوريا، وإعادة تنشيط الدبلوماسية من خلال تقديم نهج مرحلي يُمكّن من إحراز تقدّم في مختلف القضايا، ومنح الحكومة السورية وداعميها مساراً واضحاً للخروج من الأزمة الاقتصادية والإنسانية الحالية».

كذلك يجب على واشنطن، «النظر في إعفاء جميع الجهود الإنسانية لمكافحة كوفيد - 19 في سوريا من العقوبات، كما يجب أن يحظى تسهيل إعادة بناء البنية التحتية المدنية الأساسية، مثل المستشفيات والمدارس ومرافق الريّ، بنفس القدر من الأهمية، وسيتبع ذلك تخفيف تدريجي وقابل للتغيير للعقوبات الأميركية والأوروبية». لكن «لن يتمّ منح هذه التسهيلات إلّا عندما تتحقّق الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون من تنفيذ خطوات ملموسة تمّ التفاوض عليها مع الحكومة السورية».

في المقابل، يقرّ الكاتبان بأنه لا يجب أن تتكوّن لديهم «أوهام كبيرة»؛ لأن «حواجز النجاح في هذه المسألة كثيرة، إذ لم تُظهر القيادة السورية الاستعداد لتقديم تنازلات. وتحقيق تقدم في هذا النهج الجديد التدريجي يتطلّب استجابة سوريّة قابلة للقياس، فإذا اكتفى نظام الأسد بمجرّد التشدّق بالإصلاح، يجب أن يؤدي هذا إلى تعليق التسهيلات الأميركية والأوروبية، وقد يؤدّي إلى فرض عقوبات سريعة».

> لا يجب أن تتكوّن «أوهام كبيرة» حول نجاح خطة المفاوضات مع دمشق

وربطاً بحديث فيلتمان وبالميان، يبرز ما كتبه السفير الأميركي الأخير في العاصمة السورية دمشق حتى شباط/ فبراير 2012، روبرت فورد، في مجلة «فورين أفيرز» الأميركية، حيث اعتبر أن «إدارة بايدن بحاجة إلى التعاون مع تركيا وروسيا لحلّ مشاكل المنطقة ومكافحة تنظيم داعش»، مؤكّداً أن استراتيجية الرئيس السابق، دونالد ترامب، حيال سوريا، «باءت بالفشل». وأشار فورد إلى أن «واشنطن فشلت في دفع نظام الأسد إلى القبول بإصلاحات دستورية واسعة، ومنطقة حكم ذاتي للأكراد شمال شرق البلاد، رغم استخدام القوة العسكرية والضغوط المالية ضدّه». وأضاف: «تحت إشراف أميركي، تمّ تحويل المنطقة (شمال شرق سوريا) إلى شبه دولة بجيشها الخاص... لكنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها بلا الموارد الأميركية». ويعتقد فورد أن «مصالح الولايات المتحدة لا تقتضي ضمان إدارة مناطق شرق سوريا بيد الأكراد، بل احتواء التهديدات الإرهابية هناك». ورأى أن «تقبّل إدارة بايدن لمصالح تركيا وروسيا في سوريا سيسفر عن نتائج أكثر إيجابية». ودعا فورد الإدارة الأميركية الجديدة إلى «إيلاء مزيد من الثقة لروسيا وتركيا في مكافحة داعش، بدل مواصلة الاستراتيجية الحالية المتّبعة حيال سوريا».

ليست هدية لدمشق

وانتهاءً بما كتبه فيلتمان وزميله بالميان، فهما يعتبران اقتراحهما للسياسة الجديدة في سوريا «ليس هدية للحكومة السورية، المسؤولة عن القسم الأكبر من الوفيات والدمار خلال السنوات العشر الماضية، بل مضمون هذا الاقتراح هو أن إدامة الوضع الراهن لن تؤدي فجأة إلى نتائج مختلفة عن تلك التي شهدناها منذ عام 2011». ويعتقد الكاتبان أنه من خلال إعلان قائمة تفاوضية من الخطوات المتبادلة بين سوريا والولايات المتحدة وأوروبا ضمنياً ممارسة نوع مختلف من الضغط على سوريا لتحقيق الإصلاحات التي رفضت حتى الآن». كما يؤكدان أن «التغيير الحالي في الإدارة الأميركية يوفّر فرصة لدراسة هذا النهج الجديد واختباره».

(الأخبار)

أسفرت العقوبات الأميركية والغربية على سوريا عن مزيد من المعاناة الإنسانية للسوريين العاديين (أ ف ب)

إيران

المفاوضات النووية المقبلة: مَن يطلق صافرة البداية؟

كرّر الرئيس الأميركي، جو بايدن، في خطاباته السابقة، وفي خطاب تنصيبه، عزمه على العودة إلى الاتفاق النووي الإيراني. لكن ذلك لن يكون سهلاً. لا تكمن المشكلة، الآن، في إصرار البلدين على طرحَين مختلفين فقط: أميركا تدعو إلى «الامتثال مقابل الامتثال»، بينما تدعو إيران إلى «التعويض والامتثال مقابل الامتثال». بل هي في مَن سيبدأ أولاً؟

محمد علي فقيه

يجادل البعض بأن أمام الأميركيين والإيرانيين فرصة سانحة للوصول إلى «اتفاق أشمل»، بما أن سدّة الرئاسة في كلا البلدين ومؤسّساتهما يشغلها مهندسو «خطّة العمل المشتركة الشاملة». إلّا أن التحدّيات أمام ذلك تبدأ من المعارضة الداخلية الأميركية خصوصاً، حيث يحاجج الصقور اليمينيون، الذين يقود عقلهم السياسي مبدأ حماية مصالح إسرائيل، أمثال جون بولتون ودينيس روس ومارك دوبويتز وغيرهم، بأن الخطّة الأولى التي أنجزها فريق الرئيس الأسبق، باراك أوباما، ضعيفة وقاصرة بذاتها. فهي - بحسب ادعائهم - مليئة بالشوائب التي عزّزت موقع إيران ونفوذها الإقليمي والدولي، بدلاً من تقويض ما كانت عليه قبل عام 2015. لذا، يدعو هؤلاء، بايدن وفريقه، إلى استغلال ضغط العقوبات المفروضة على طهران، لإجبارها على الجلوس إلى طاولة المفاوضات، ومناقشة المواضيع كافة، في خطّة يطلقون عليها «الأقلّ مقابل الأقلّ». إن دلّ هذا على شيء، فعلى تسليم الصقور اليمينيين بأن بايدن عازم على إنجاز اتفاق نووي جديد مع إيران، الأمر الذي أكّده الأخير عبر سلسلة من التعيينات المتجانسة والمنسجمة، من الخبراء والمخضرمين في سلك الدبلوماسية والسياسات الخارجية، والذين عمل بعضهم على هندسة الاتفاق النووي والتفاوض حوله.

ذعرٌ إسرائيلي

المخاوف التي يعبّر عنها الصقور اليمينيون في كتاباتهم وتصريحاتهم، ليست إلّا انعكاساً لأخرى موجودة لدى حليفتهم الأولى في الشرق الأوسط إسرائيل. ففي مقال مشترك له مع يوسي كلاين - حالفي في مجلة «ذي أتلانتك»، عبّر مايكل أورين، عضو «الكنيست» الحالي وسفير إسرائيل السابق لدى واشنطن، عن خوفه من نيّة بايدن العودة إلى المفاوضات مع إيران حول البرنامج النووي، مشيراً إلى قصور الاتفاق وانعدام جدواه لعدم تطرّقه إلى قدرة طهران التسلّحية. ودعا إلى تضمين أيّ اتفاق جديد مسألة الصواريخ، ووضع حلّ نهائي لقدرة إيران النووية، وتمديد مدّة بنود الانقضاء من سنة 2024 إلى سنة 2040 أو 2045. الأمر نفسه حذّر منه، أيضاً، رئيس الأركان الإسرائيلي، أفيف كوخافي، الذي قال في خطاب له خلال المؤتمر السنوي لـ«معهد دراسات الأمن القومي» إن «أيّ اتفاق يشبه اتفاق عام 2015، هو اتفاق سيّئ على الصعيدين الاستراتيجي و العملاني»، مضيفاً أن «الضغط على إيران يجب أن يستمرّ، يجب ألّا تمتلك القدرة على تطوير قنبلة نووية».

لم تُخفِ إدارة بايدن نيّتها طمأنة إسرائيل، إذ أعلن مسؤولون إسرائيليون أن اتصالاً جرى بين سوليفان ونظيره مائير بن شبات، ناقشا فيه ملفّات عدّة أحدها إيران. أمّا عن سبب تعيين بايدن، ويليام بيرنز، اللاعب الأساسي في المفاوضات السرّية في مسقط، والتي سبقت الاتفاق النووي النهائي مع إيران، فقد يكون لضبط الأنشطة التجسّسية والتخريبية القادمة التي قد يقوم بها «الموساد» داخل إيران، والتي كانت قد هدّدت، في السنوات الماضية، الاتفاق الدبلوماسي الذي جهد بيرنز وسوليفان في التوصّل إليه، وأيضاً لإفساح المجال أمام العمل الدبلوماسي الذي «يحتاج إلى وقت طويل قبل التوصّل إلى اتفاق جديد»، وفق بلينكن.

مبادرة «مجتمع هرمز»

قد لا يبقى باب التفاوض مع إيران مشرّعاً لوقت طويل، فنتائج الانتخابات الإيرانية المقبلة، في 18 حزيران/ يونيو 2021، قد تزلج الباب أمام أيّ حوار قادم مع الأميركيين، أو أقلّه قد تجعل من التفاوض أمراً شاقّاً للغاية في ما لو فاز أحد المحافظين بمنصب رئيس الجمهورية الإسلامية. وهذا ما ذكره بيرنز في مذكّراته «القناة الخلفية»، مقارناً بين سعيد جليلي رئيس الوفد التفاوضي في عهد أحمدي نجاد، وعباس عراقجي ومجيد تخت روانجي في عهد الرئيس حسن روحاني. وقال: «أنهى جليلي تعليقاته بتسليم «ورقة غير رسمية» None-paper» إيرانية. كانت النسخة الإنكليزية تحمل، ولسوء في الترجمة، عنوان «ورقة لا شيء none paper»، تبيّن لاحقاً أنّه (أي العنوان) وصفٌ مناسب لمضمونها. نظرنا (خافيير) سولانا إليها بسرعة، عندها زحر زميلي الفرنسي، وتمتم: «هراء»، ما جعل جليلي يبدو مذهولاً إلى حدٍّ ما... كان (جليلي) من المؤمنين الحقيقيين بالثورة الإسلامية، كوّن قناعاته من خلال تجربة مريرة، إذ أصيب في القتال على الجبهة العراقية في الثمانينيات، وفقد جزءاً من ساقه اليمنى فبات يسير بعرج واضح. كما الكثير من أبناء جيله، تعلّم من صعوبة الخنادق أن إيران لا تستطيع الوثوق بأحد ولا يمكنها سوى الاعتماد على نفسها». وأضاف بيرنز: «ترأس الوفد الإيراني هذه المرة نائبا وزير الخارجية جواد ظريف، مجيد تخت روانجي وعباس عراقجي. كلاهما كانا وطنيين إيرانيين قويين، متشكّكين في التعامل مع الأميركيين وعنيدَين في مناقشة نقاطهم. اكتشفنا أنه يمكن أيضاً أن يكونا مبدعَين في حلّ المشكلات». الاقتباس أعلاه ليس إلّا القليل ممّا ينتظر بايدن وفريقه إذا ما وقفوا من دون تعبيد الطريق أمام الفريق الإصلاحي في إيران، المتمثّل بروحاني، عبر منحه تقدّماً أو إنجازاً ما في الملف النووي. أفضل مَن عبّر عن ذلك، هو وزير الخارجية محمد جواد ظريف، في مقال له في مجلّة «فورين أفيرز»، قال فيه

> رمى ظريف الكرة في ملعب بايدن، في انتظار ركلته الافتتاحية الأولى

إنه «إذا كانت الإدارة الأميركية الجديدة تأمل في تغيير المسار الحالي، فعليها أن تُحدث تغييراً في مسارها على الفور». وانتقل إلى تحديد شروط الجمهورية، للعودة إلى الاتفاق، بالتالي:

1 - تبدأ الإدارة بإزالة مفاعيل جميع العقوبات المفروضة أو المعاد فرضها أو المعاد تسميتها منذ تولّي ترامب منصبه، بشكل كامل.

2 - ستلغي إيران جميع الإجراءات التصحيحية التي اتخذتها في أعقاب انسحاب ترامب من الاتفاق النووي.

3 - بعدها يقرّر الموقّعون الآخرون ما إذا كان ينبغي السماح للولايات المتحدة باستعادة مقعدها على طاولة المفاوضات التي تخلّت عنها في عام 2018.

ظريف حذّر أيضاً من أن العودة إلى طاولة المفاوضات ستكون عرضة للخطر، في ما لو طالبت واشنطن أو حلفاؤها في الاتحاد الأوروبي بفرض شروط جديدة على الاتفاق، الذي تمّ التوصل إليه بعناية خلال سنوات من المفاوضات.

أما في ما يخصّ ملفّ الأسلحة الإيرانية والصواريخ البالستية، والذي سمّاه «السياسات الدفاعية والإقليمية»، فقد جاء موقفه صارماً وحازماً، بألّا مجال للنقاش فيها مع الأميركيين أو الأوروبيين أو «الأجانب» قطعاً، وبأن إيران قد ضحّت مسبقاً لإنجاح الاتفاق عبر موافقتها على فرض قيود مدّتها خمس وثماني سنوات على مشتريات الدفاع والصواريخ على التوالي، وتلك التضحيات لا يمكن التغاضي عنها أبداً، لا اليوم ولا حتى لاحقاً. لكن ظريف لم يُسدّ السبل كافة بوجه هذا الملف، بل ربطه بالوجود الأميركي في المنطقة، وترك له منفذاً ملحوظاً في قوله إن هذا موضوع تناقشه إيران مع دول «مجتمع هرمز»، غامزاً من قناة الرئيس روحاني ورسالته الأخيرة في تشرين الأول/ أكتوبر 2019، والتي دعا فيها تلك الدول إلى تسوية نزاعاتها بالطرق السلمية، وتجنّب المشاركة في الائتلافات أو التحالفات ضدّ بعضها البعض. رمى ظريف الكرة في ملعب بايدن، في انتظار ركلته الافتتاحية الأولى.

مبادرة ماكرون وخطّة النقاط الأربع

في ظلّ كلّ هذا الأخذ والردّ، قد تكون الوثيقة، أو خطّة النقاط الأربع التي جاءت نتيجة أيّام من دبلوماسية مكوكية قام بها الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، على هامش الجمعية العامة للأمم المتحدة، بهدف نزع فتيل التوتّر بين طهران وواشنطن، في أواخر أيلول/ سبتمبر 2019، منطلقاً لأيّ تفاوض جديد قد يحصل بين الإدارتين. تنصّ هذه المبادرة على التالي:

1 - تتعهّد إيران بأن لا تحوز سلاحاً نووياً أبداً.

2 - تمتثل إيران لتعهّداتها والتزاماتها بالكامل، وتقبل التفاوض على إطار عمل طويل الأمد حول أنشطتها النووية.

3 - تمتنع إيران عن أيّ اعتداء، و تسعى إلى سلام واحترام حقيقيَّين في المنطقة من خلال المفاوضات.

4 - ترفع الولايات المتحدة العقوبات كافّة المعاد فرضها، منذ عام 2017، ويكون لإيران القدرة الكاملة على تصدير نفطها واستخدام عائداته بحُرية.

وعلى الرغم من عدم ذكر برنامج الصواريخ البالستية الإيراني على وجه التحديد في نصّ المبادرة، جاء تأويل النقطة الثانية على لسان مسؤولين فرنسيين بأن اللغة المتعلّقة بدور طهران الإقليمي مفهومة من قِبَل جميع الأطراف، وهي تعني أن الصواريخ البالستية ستكون جزءاً من المفاوضات.

لم تبصر معاهدة ماكرون النور بعد رفض ترامب تلبية شرط روحاني، بناءً على تعليمات المرشد السيد علي خامنئي بأن يُعلن ترامب رفع العقوبات عن إيران، قبل إجراء الاتصال المفترض بينهما في نيويورك. لكن يبقى السؤال عمّا إذا كانت هي المبادرة التي ستكون منها الانطلاقة المقبلة نحو الاتفاق الأشمل، أو أنّ ثمّة مسعى آخر سيشكّل عبر إحدى الدول العربية أو مبادرة دوَل هرمز؟

وفيات

المنتدى القومي العربي والحملة الاهلية لنصرة فلسطين وقضايا الأمة ينعيان الى الأمة والى الشعبين اللبناني والفلسطيني واحرار الامة العربية القائد الوطني والعروبي والناصري

الدكتور

سمير محي الدين بدوي الصباغ

رئيس رابطة العروبة والتقدم عضو اللجنة التنفيذية للحركة الوطنية اللبنانية سابقاً، والذي وافته المنية مساء امس ويوارى الثرى ظهر اليوم في 2021-1-30 في جبانة الشهداء.

بسبب الظروف الراهنة يرجى الاكتفاء بالاتصال بالأرقام التالية:

زوجته الدكتورة غادة دامر الشامي: 01955566

ابنتاه مهى: 03891896

وأميرة 03801467

إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
هاتف 01-759500
فاكس 01-759597
الأخبار al-akhbar

الأخبار
al-akhbar
السبت 30 كانون الثاني 2021 العدد 4259

صورة وخبر

في 12 شباط (فبراير) المقبل، تبدأ السنة الصينية الجديدة والمخصّصة هذا العام للثور. في هذه المناسبة، بدأ المتحف الوطني للفنون في الصين الاحتفالات باكراً، من خلال معرض يجمع مختارات من الأعمال الفنية المتمحورة حول هذا الحيوان، والتي تحمل توقيع أكثر الأسماء شهرة في البلاد في مجالات الرسم والنحت والتجهيز وغيرها. وفي ظل استمرار جائحة كورونا، يحرص الفضاء الثقافي الواقع في بكين على اتخاذ كلّ التدابير الوقائية اللازمة للحماية من الفيروس. (وانغ تشاو ــ أ ف ب)

«صحراء» رشانحّاس من فلسطين إلى ألمانيا

كشفت الفنّانة الفلسطينية رشا نحّاس (الصورة)، أمس الجمعة، النقاب عن ألبومها الأوّل Desert (صحراء) عدّة وعبر منصات موسيقية مختلفة. ووفق بيان صادر عنها، يمثّل العمل المؤلّف من تسع أغنيات «فترة مهمّة جداً في حياتي... إنّه رحلتي من فلسطين إلى ألمانيا... من الشخصي إلى السياسي، وبالعكس». وتضيف الصبية المولودة في مدينة حيفا: «إنّه السراب والأمتعة والعطش والرحلة والشوق وفكرة الانتماء إلى نفسك أو إلى شيء أكبر منها». الألبوم الذي أنجز في مرحلة انتقالية في حياة صاحبته، يشكّل بالنسبة إليها أيضاً «سجل لحظات، عندما يرتفع الإدراك من الأعماق إلى السطح، مثل الفيضانات الصغيرة». علماً بأنّ Desert يحوي مجموعة من الأعمال الأصلية، بالإضافة إلى نسخة جديدة من أغنية ليونارد كوهين Lover، Lover، Lover.

مجدي دعيبس يقرع «أجراس القَبَّار»

ضمن برنامج «قراءات في المكتبة»، تقيم مكتبة عبد الحميد شومان العامة، يوم الأربعاء المقبل، احتفال إطلاق وتوقيع رواية «أجراس القَبَّار» (دار الآن) للكاتب مجدي دعيبس (الصورة)، عبر «زوم» وفايسبوك. يتناول الكتاب القرون الثلاثة الميلادية الأولى ومعاداة الدولة الرومانية للمسيحية، ناقلاً الأجواء السائدة في الإمبراطورية عبر وجهات نظر عدّة. ورغم هيمنة الجغرافيا العمّانية على الرواية، إلا أنّ أحداثها امتدّت لتبلغ أنطاكيا؛ خدمةً للرؤية العامة للعمل وللإشارة إلى شمول المعاناة جميع ولايات الإمبراطورية.

إطلاق وتوقيع «أجراس القَبَّار»: الأربعاء 3 شباط (فبراير) المقبل ـ س: 17:00 ـ تطبيق «زوم» (الرابط متوافر على موقعنا ـ رمز النشاط: 83273547341) وصفحة «مؤسسة عبد الحميد شومان» على فايسبوك.

إيطاليا «ورثت» مكتبة أومبرتو إيكو

سعيد محمد

بعد خمسة أعوام على رحيل الفيلسوف والناقد الإيطالي أومبرتو إيكو (1932 ـ 2016/ الصورة)، توصّلت عائلته (ترك زوجة وابناً وابنة) إلى اتفاق مع وزارة الثقافة الإيطالية يتم بموجبه استملاك مكتبته الشخصية وأرشيفه لمصلحة الدولة لضمان الحفاظ على تراث رائع من حوالى 50 ألف مجلّد من الكتب الحديثة والقديمة، وتوفيره بحرفية للطلاب والباحثين والمؤرّخين. بموجب الاتفاق، سيُمنح الأرشيف على سبيل الإعارة لمدة 90 عاماً إلى ألما ماتر (جامعة بولونيا)، حيث درّس إيكو معظم حياته. والاستثناء سيكون موسوعة قديمة من 1200 مجلّد نادر لكتب السحر والعلوم السرية جمعها إيكو عبر الأيام وكان لا يسمح لأحد بالاطلاع عليها إلا نادراً، وهذه ستعار إلى مكتبة بريدينسي الوطنية في ميلانو، المدينة التي ظلّت غرامه وكانت مسرح روايته الشهيرة «بندول فوكو» (1989) وبثّ فيها أفكاره حول نظريّة السيمائيات. اشتهر إيكو في العالم بروايته الأولى «اسم الوردة» (1980) التي تُرجمت إلى أكثر من 40 لغة، وباع أكثر من 50 مليون نسخة. الرواية التي أدفأت قلوب محبي الكتب، مستوحاة من أجواء مكتبة دير ساكرا دي ميشيل الذي بُني في القرن العاشر، واستحالت فيلماً من بطولة شون كونري في عام 1986، قبل أن يعاد تقديمها حديثاً كمسلسل بتعاون إيطالي مع الاتحاد الأوروبي.

وُلد إيكو في مدينة ألساندريا في إقليم بييمونتي، وقد حاول والده دفعه لأن يصبح محامياً، غير أنّه انتسب إلى جامعة تورينو لدراسة فلسفة القرون الوسطى والأدب، ليحصل عام 1954 على دكتوراه الفلسفة عن أطروحة عن القديس توما الإيكويني. ورغم مساهماته الثقافية والنقدية العديدة، فإنّه يُعرف أكثر برواياته، مع أنّه وصف نفسه دائماً بأنّه «فيلسوف يكتب الروايات فقط في نهاية الأسبوع والعطلات».

هنري بيدروس كيفا: من هم العرب القدامى؟

في سياق أنشطتها الإلكترونية، تدعو «جمعية جلجامش» في كندا، في 20 شباط (فبراير) المقبل، إلى محاضرة عبر «زوم» بعنوان «من هم العرب القدامى؟»، يلقيها هنري بيدروس كيفا (الصورة). في هذا اللقاء، يجيب الباحث والمؤرّخ المولود في بيروت وصاحب الجذور السريانية الرهوية عن أسئلة عدّة، من بينها: من هم العرب القدامى وأين هي بلادهم حسب المصادر القديمة؟ ما هي أهمية الكتابات الأكادية القديمة؟ ما العلاقة بين جذب العربي ومعارك قرقر؟ هل استطاعت الكتابات الأكادية تحديد مواطن القبائل العربية؟ وما الفرق بين قبائل العرب في البادية السورية وقبائلهم في الصحراء العربية؟

محاضرة «من هم العرب القدامى؟»: السبت 20 شباط ـ س: 20:00 ـ تطبيق «زوم» (الرابط متوافر على موقعنا ـ رمز النشاط: 97404614503/ رمز المرور: GILGAMESH)

الأخبار
al-akhbar

السبت 30 كانون الثاني 2021
العدد 4259 السنة الخامسة عشرة
Samedi 30 Janvier 2021 nº 4259 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

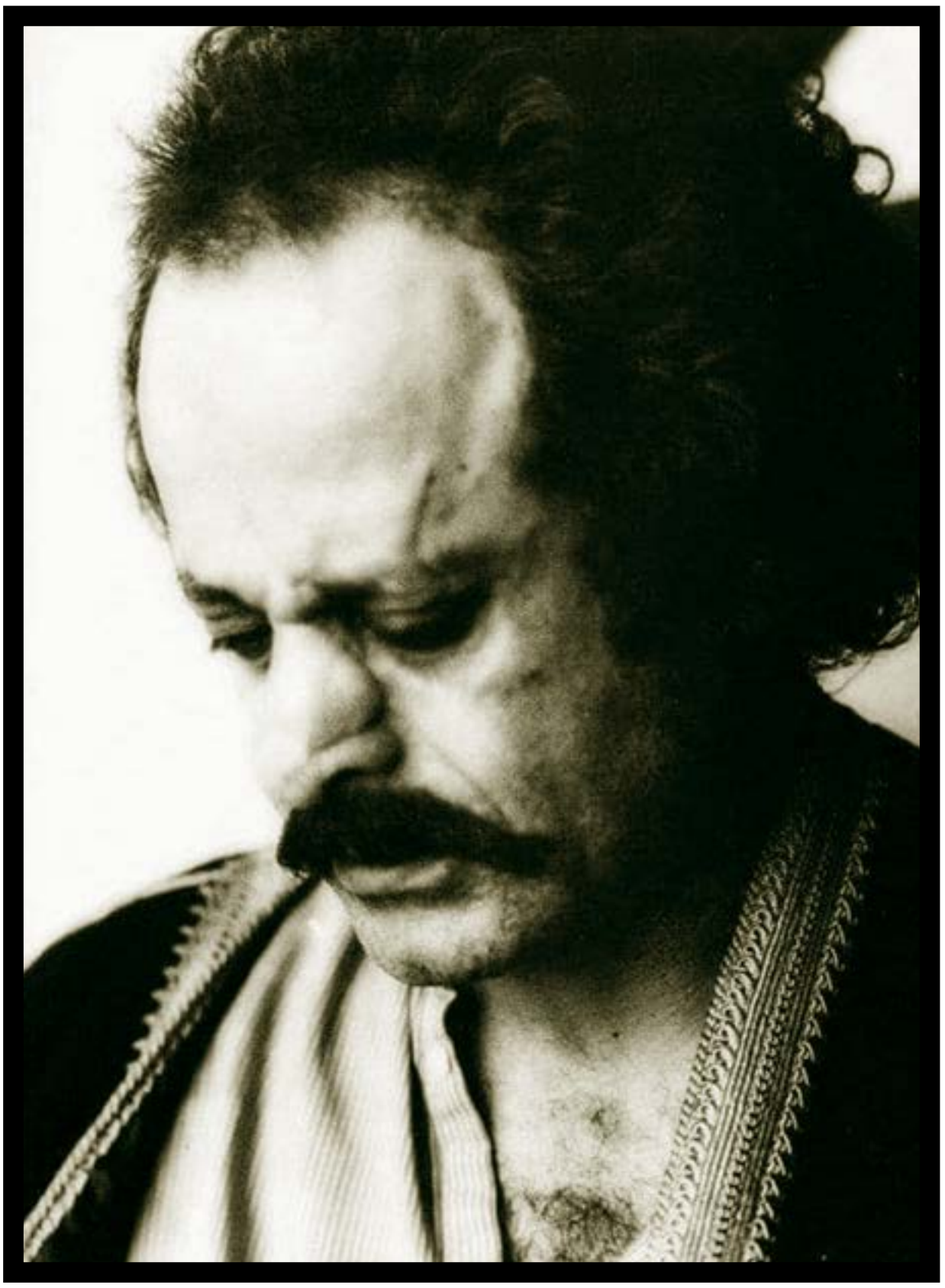

كمال خير بك
شاعر الخيارات الصعبة

محمد ناصر الدين

«لا وطن للشاعر الذي يطارد ظله في صحارى العالم/ لا وطن للشاعر الذي يلغّم تاريخه بالكلمات/ كوني إذنْ وطني وصوتي/ وافتحي جسدك لريشتي الحائرة/ قصيدةً أو مدينةً أو حكماً بالإعدام/... أذهب إلى الحرب ناسياً سيفي في قبضة هاملت/ أترصّد الليل كما يترصد العاشق نوافذ حبيبته/ لأنتحب فيه على النهار/ وأنتظر الشمس لأقيس المسافة التي تفصلها عن الغروب/ أنا الخنجر الذي يُراوح في غمده/ والصرخة التي تتلعثم في حنجرة العالم».

سؤال صعب يطرح نفسه عند قراءة كمال خير بك (1935 ـ 1980): هل كان الشعر حياةً ثانية والقضية المغمّسة بالدم هي الأفق الأول، حيث يذهب الشاعر إلى الحرب تاركاً السيف في قبضة هاملت؟ وأيهما يبقى: الخنجر أم الحنجرة؟ يقال بأنّ كمال خير بك حين قضى اغتيالاً في أحد شوارع بيروت، وجدوا في جيبه قصاصةً مكتوباً عليها: «كنتُ ميتاً على الرصيف وحولي وطنٌ هارب، ومرّ بي حصاني». في شعر صاحب «البركان» (1960) و«مظاهر صاخبة للجنون» (1965) و«وداعاً أيها الشعر» (1982) و«دفتر الغياب» (1987)، و«الأنهار لا تتقن السباحة في البحر» (2007) كلُّ الديالكتيك الصاخب بين الحياة والموت، بين الحنجرة والخنجر، جدلية مغمّسة بأساطير سورية وآلهتها وتراثها حيث يرجع الإله المخضّب بالدم مع بداية الربيع، فلا يغيب الموت عن قصيدة إلا ليبرز نقيضاه في الحضور: الشعر والحب. ثالوثٌ مقدّس إذن سعى كمال خير بك إلى التوليف بين أقانيمه منذ مجموعاته الأولى «براكين» و«مظاهرات صاخبة للجنون»، وكانت الصورة مستودعاً لعصب الشعر الملتهب بالحب الذي تسقط شمسه في برج الموت. مسحة الالتزام وصورة الشاعر الذي يحمل لقومه شعلة الآلهة، نراها قوية في أعمال الشاعر الأولى، إذ نقرأ في مقدمة «براكين»: «في قناعتي، الشاعر غير الحاضر في جمهوره الحاضر هو شاعر غير موجود... والعودة إلى الكتابة الشعرية العمودية ظاهرة طبيعية جداً. وحضور الشعر العمودي ووجوده كنمط، أمر ضروري لأنه يصبّ في إطار التنوع. فكل مجتمع غير متنوّع هو مجتمع محدود لا قيمة له، أو لعلّ الذات تكون في هذا النمط حاضرةً وفاعلةً أكثر من أي نمط آخر. فللشعر الكلاسيكي جماليته القائمة والمتميزة، وكذلك للشعر الملتزم بالوجود الفردي وبالشخصانية الوجودية... وفي كل حال، لا يمكن إلغاء الأهمية الجمالية لكل نوع من أنواع الشعر»، لتحضر هذه النزعة الكلاسيكية بقوة في الأعمال الأولى حيث نقرأ: «حملتكم في جناحي النازف التعِبِ/ أيقونةً ويداً تأسو وترفقُ بي، أحببتُ حتى خصومي حين يدفعهم/ حقدٌ لصلبي، أو جوعٌ إلى عَطَبي». إلا أن الشاعر لا يلبث أن يأخذ استراحة المحارب، فينتقل في بعض أعماله اللاحقة الى تلك المنطقة الشخصية الوجودية حيث ترتاح الحنجرة من إيقاع الاشتباك والنبوة إلى نبرة أكثر سيولة، كما في قصيدة أنتونان آرتو: «آرتو، آرتو/ ما زلنا نسير في جنازة جسدك الحي/ في جنازة بعثك/ الوجوه ترقع النوافذ/ الوجوه تسند الجدران المائلة/ وأنت وأنا- جسدنا يسبقنا ككلاب الصيد/ نسير في جنازة العالم/ نكاد نبكي من الضحك/ ونضحك من البكاء/ نسير في أروقة الرحم المزدهرة بالتوابيت».

كان كمال خير بك مثالاً للمثقف المشتبك، وشاعر الخيارات الصعبة، الحياة التي تبحث عن المجد حتى في جُرحها. تقول الناقدة خالدة سعيد: «حتى اليوم، كلّما تصفحت أطروحته حول «حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر» التي تدرس مجلة «شعر» وقضايا التجديد والحداثة الشعرية، أعجب من ذلك الدأب الطويل المتعمّق المستقصي، ومن التأمل في قضية لم تكن تبدو قضيته الأولى. لكنني لا أنسى أنه كان رجل الهيام والمجازفة والشعر. لذلك استطاع أن يكون رجل الصبر والبحث وعمق الرؤية، متى تعلّق الأمر بالشعر أياً كانت مدارسه». حين يكون الشاعرُ مشتبكاً، تكون حياته أشبه بالسكنى عند فوهة البركان، والتوازن في مثلث «الموت/ الحب/ الشعر» يبدو مستحيلاً: أياً كانت هوية الرصاصات التي هوت على جسد كمال خير بك ـ طائفيةً بغيضةً أو من كاتم صوت العدو الذي ابتهج بقتل ابن مصياف السورية وصديق وديع حداد الفلسطيني والمقتول على الأرض اللبنانية ـ فإننا على بعد أربعين عاماً من الغياب، من الشاعر الذي كان يحمل قضية بلاده مثل راية حين هوى، ما زلنا حين ينتهي الشعر والكلام المخملي، نرى ذلك الإله القديم يخرج من شق الطعنة: «أيها الشعر وداعاً/ انتهى عصر الكلام المخمليّ/وانتهى عصر السلام/ بين جرحي والضمادة».

يقيم الحزب السوري القومي الاجتماعي (منفذية حمص) بالتعاون مع عمدة الثقافة والفنون الجميلة «مسابقة الشهيد كمال خير بك الشعرية الأولى لعام 2021». تنتهي مهلة الاشتراك في المسابقة يوم 25 شباط (فبراير) 2021، على أن تُعلن النتائج في الأول من نيسان (أبريل) 2021. للاستفسار: 009630930653885

ملف

«كيف نتحدّث عن وقائع لم تحدث» يدخل المكتبة العربيّة

بيار بايار: الكذب انتصاراً للأدب والمخيّلة

يعتبر بيار بايار الإنسان كائناً سردياً يحتاج إلى القصص، وتالياً تجب تبرئة الحكّائين من تهمة تزوير الحقائق

خليل صويلح

يشغل بيار بايار (1954) في منطقة نقدية استثنائية. لا يتردّد في اقتحام حقول الألغام، ووضعها في مهبّ أسئلة جديدة تصب في مديح الاختلاق واعتباره امتيازاً لا عيباً. بعد كتابيه «كيف نتحدّث عن كتب لم نقرأها» (2007)، و«كيف نتكلم عن أمكنة لم نزرها؟» (2012 ـ دار مينوي- باريس)، يجازف مرّة أخرى في الدفاع عن الأكاذيب التي يبثها كتّاب السيرة الذاتية والروايات الوثائقية وخرافات الحياة اليومية، معتبراً أن تزييف الحقائق ضرورة أدبية. في كتابه «كيف نتحدّث عن وقائع لم تحدث؟»، يتساءل عن جدوى عالم موثوق وموضوعي بدون أكاذيب: «ألن يكون في النهاية عالمٌ بلا أدب، من دون فلسفة، وبلا خيال؟». هكذا يتعقّب نصوصاً كانت إلى وقتٍ قريب- بالنسبة إلى القراء- وثائق دامغة، أو وقائع حدثت فعلاً، خصوصاً أن أصحابها يتمتعون بمصداقية عالية. عملية فضح بعض هذه الأكاذيب هذه لا تأتي من موقع الضد، إنما لتأكيد ضرورة التوابل التي يضيفها الكتّاب إلى سرديّاتهم، وأهمية وجود مثل هذا الفلفل الحار في متنها. العملية هنا مزدوجة، فهو من جهة يقتفي أثر النص الأصلي بقصد تمجيده، والدفاع عن خيارات كتّابه في مواجهة أولئك «المشاغبين» الذين يفتشون عن الحقائق الصرفة، والإطاحة بكل ما هو متخيّل، ليس في النصوص وحدها، وإنما في «أكاذيب الحياة اليومية» أيضاً. ينافح أستاذ الأدب في «جامعة باريس الثامنة»، والمحلّل النفسي عن وقائع تبيّن لاحقاً بأنها لم تحدث بالطريقة نفسها التي رواها أصحابها، تحت بند «الحاجة الملحّة إلى تصنيع الخيال». ثم لماذا نخسر ثمار الخيال طالما أنها تضيف السعادة إلى البشر، فالكائن، حسبما يقول، ليس لغة فقط، بل هو كائن سردي يحتاج إلى كتابة وتلقّي القصص، وتالياً حق المرء في الحديث عن وقائع لم تحدث بعد والتعبير عن رأيه فيها، وتبرئة الحكّائين من تهمة تزوير الحقائق، والدفاع عن حقهم في سرد الحكايات بصرف النظر عن النهج الذي يسلكونه في الحكي. يستهجن بيار بايار الضجة التي أثيرت حول السيرة الذاتية التي كتبتها ميشا ديفونسيكا بعنوان «البقاء على قيد الحياة مع الذئاب»، ومواجهتها في حجم التلفيق الذي نظر عن النهج الذي يسلكونه في الحكي. يستهجن بيار بايار الضجة التي أثيرت حول السيرة الذاتية التي كتبتها ميشا ديفونسيكا بعنوان «البقاء على قيد الحياة مع الذئاب»، ومواجهتها في حجم التلفيق الذي مارسته الكاتبة في رواية سيرتها. حتى إنها لن تتردد ـ خلال رحلة هروب طفلة يهودية من بروكسل إلى أوروبا الشرقية مشياً على الأقدام، بحثاً عن والديها اللذين انتهيا في أحد المعتقلات النازية ـ بالعيش في غابة بصحبة ذئبة: «الجأتْ إلى الغابة، فرأت كلباً كبيراً تبعها فترة وجيزة، ثم تبيّن بعد ذلك أنه ذئب، أو على وجه الدقة، ذئبة. أطلقت الفتاة الصغيرة على الذئبة اسم ريتا، تيمناً باسم أحد كلاب جدها. قامت الذئبة برعايتها وصارت تذهب للصيد وتحمل إليها بعضاً مما تصطاد، وعملت على حمايتها في الليل وهي نائمة ملتصقة بها، وعلّمتها بأناة ما يحكم مجتمع الذئاب من قواعد وأعراف». لافى الكتاب إقبالاً من ملايين القرّاء، واستهجاناً لدى المتخصّصين في المحرقة لجهة الخطأ في التواريخ، والأمر ذاته بالنسبة إلى المتخصّصين في شؤون الذئاب، ثم اتسعت دائرة الفضيحة عندما كشف التحقيق أن ميشا ديفونسيكا ليست يهودية في الأصل، وقد سطت على سيرة ليست لها ونشرتها باسم مستعار. يفرّق بيار بايار هنا بين «الحقيقة الذاتية»، و«الحقيقة الواقعية»، وينتصر للأولى، معتبراً إياها انتصاراً للمخيّلة، و«للجنون التأويلي» في المقام الأول قائلاً: «لنعتبرْها واحدة من قصص الجنيات، ونكتفِ ببهجة السرد، بعيداً عن أروقة المحاكم». سيقع جون شتاينبك تحت وطأة اختلاق آخر. في مطلع ستينيات القرن المنصرم، اكتشف صاحب «عناقيد الغضب» بأنه لا يعرف أميركا جيّداً، فقرّر

> يتعقّب نصوصاً كانت وثائق دامغة. ويفضح «أكاذيبها»، معتبراً إياها التوابل التي يضيفها الكتّاب إلى سردياتهم

أن يقوم برحلة بين المدن الأميركية بشاحنة تحمل بيتاً متواضعاً وخدمات بسيطة، أطلق عليها اسم «روسيننانتا» كتحية لسرفانتس. وكي يسلّي وحدته أربعة جياد، معه. هذا ما سنجده في كتابه «رحلاتي في أميركا». بعد نصف قرن، قرّر الصحافي الأميركي بيل ستايغروولد اقتفاء أثر شتاينبك والأماكن التي عبرها، وفقاً لخط الرحلة الأسطورية، فكانت المحصلة حفنة من الحقائق المزيّفة، أولاها أنه كان برفقة زوجته، وأن كلبه «تشارلي» صاحب دور ثانوي في الرحلة. كما أنه كان أثناء استراحاته في نظرية شاتوبريان هو الأثر الذي يشعر به القارئ، مثلما كانت النتيجة المرئية وحدها هي التي تهمّ المهندسين المعماريين الإغريق» يقول. الكارثة الكبرى في التزييف سنجدها في «الأعمال الكاملة للشاعر سان جون بيرس». في عام 1972، ارتقاء دار «لابلياد» الباريسية، طبع الأعمال الكاملة للشاعر بإشرافه شخصياً، فوجدها فرصة استثنائية لتنظيف سيرته من الأعشاب الضارة بشطب كل ما لا يليق بسيرة شاعر ودبلوماسي، بتطعيمها وقائع لم تحدث. وإذا به يتحوّل إلى شاعر رؤيوي بسبحة حدّة، إلى درجة التنبؤ بثورة أكتوبر 1917 حتى قبل أن يعرف أحد من هو لينين الذي كان يقيم في سويسرا حينذاك، وليس في موسكو، كما بدا في رسالة أخرى، كأنه خصم لدود لهتلر. أكثر من ذلك كتابة رسائل جديدة بتواريخ قديمة (!). هنا لن يجد بيار بايار دفاعاً قوياً عن سلوكيات الشاعر، مكتفياً بالقول: «لا شك في أن مسألة صورة الذات هذه هي الأكثر أهمية لكاتب مشهور مثل سان جون بيرس، الذي من الواضح أنه مهتمٌ بالتحكّم بتصورات حياته المزدوجة، الأدبية والسياسية، فيزيل منها التناقضات، ويحتفظ بما يسمح له من إعلاء شأنه في نظر الأجيال اللاحقة». تبريرات أخرى سيلجأ إليها في قراءة سيرة لبوناردو رافنشي وفقاً لتصورات فرويد عنه، وكذلك مذكرات أناييس نن. يختتم بيار بايار مرافعته عن أصحاب المخيّلات المشتعلة بضرورة إعلاء شأن الخيال كفعل ديمقراطي، وقيمة أساسية، وإحباط أي محاولات رقابية لإجهاض عمل الحكّائين، يذهب إلى فنادق مريحة، وليس إلى الشاحنة كي ينام، كما كتب، بالإضافة إلى اختلاقات أخرى تتعلّق بأماكن لم يزرها، وببشر لم يقابلهم. يجيب صاحب «تحقيق حول هاملت» مفنّداً أسباب شتاينبك في تزييف وقائع رحلته بأن ما حدث على نحو آخر أكثر تأثيراً وغرابة.

من جهته، سيدوّن شاتوبريان وقائع رحلته إلى أميركا، وفقاً لأهواء المخيّلة: كان يحمل رسالة توصية من المارکيز كارويري إلى الرئيس الأميركي جورج واشنطن، لكنه في الواقع لم يتمكن من مقابلته بسبب مرضه، فسلّم الرسالة إلى الخادمة، إلا أنه حين كتب مذكراته عن هذه الرحلة، ادعى أنه قابل الرئيس وتحاور معه طويلاً حول «الأمة الأميركية»، و«الثورة الفرنسية»، ثم دعاه في اليوم التالي لتناول العشاء معه. في ملف تلك الفترة، لم يجد ريمون لوبينغ خلال مراجعته وثائق تلك الفترة أي أثر للمقابلة المزعومة، لأن شاتوبريان بعث تسليمه الرسالة إلى الخادمة، سافر في صبيحة اليوم التالي إلى مدينة أخرى، والواقعة الحقيقية الوحيدة أن شاتوبريان تمكّن من رؤية الرئيس عن بعد، أثناء مروره في عربة تجرها أربعة جياد، وسيخترع حكايات غرامية لم تحدث، ربما لتعويض خسائره الحقيقية بما يخص العاطفة، بالإضافة إلى تحسين سيرته الذاتية مسوّدة وراء أخرى. مرّة ثالثة، يبرّر المحلّل النفسي الفرنسي الأسباب التي دعت هؤلاء إلى صوغ وقائع لم تحدث، لمصلحة «الحقيقة الأدبية» التي تحتاج دوماً إلى اشتعال المخيّلة بما يغري المتلقي بمتابعة القراءة: «ما يهمنا خلق مكان مثاليّ يختفي فيه الانشطار، وحيث يمكن أن ينشأ شكلٌ من الحقيقة عن الذات. في الواقع، هذه المذكرات أبعد ما تكون عن وعاء يتضمن حقيقةً كاملة. فضلاً عن هذا، رأينا أن نن تكتب أحياناً عدة مذكرات في الوقت نفسه: «إن متّ يوماً وقُرئت النسختان من المذكرات، من منهما أنا؟». إنه من العسف مقابلة حياة نن الخاصة، بوصفها فضاء للتزييف، بالمذكرات المعروضة باعتبارها مكاناً لقول الحقيقة، لأنها في الواقع، موضوعُ بناءٍ مستمر. وقد بيّنت ديردر بير أن المذكرات لم تكن بمأمن من الاختلاقات اليومية، بل تخضع لتعديلات كانت تجريها عليها نن عبر السنوات وتبعاً لتطوراتها. هذا العمل الذي قامت به لإعادة صياغة مذكراتها قادها إلى إتلاف الكتابات الأصلية، باعتبار أن كل نسخة جديدة ستكون النسخة الأولى. وهكذا، فإن قارئ المذكرات الذي يفترض أن يكون، خلافاً لعشاقها، الوحيد المالك للحقيقة مخدوعاً بغُدة مغربية، يُثبت وفقاً للمبدأ نفسه الذي بنيت عليه الخرافات التي تغذي بها المقربين منها كل يوم. ما تُبَيّنهُ مذكرات أناييس نن، التي يفترض أن تكون المكان الطوباوي لإعادة التجميع، يكمن في الصعوبة الكبيرة في تثبيت صورة ذاتها هذه أمام الأجيال القادمة، وهي الصورة التي حاول سان- جون بيرس تثبيتها عن ذاته من خلال اختراع شخصية داخلية. ومحاولة تثبيت هذه الصورة يعني الاضطرار إلى إعادة كتابة لا تنتهي، لأنه لا يمكن لأيٍّ من هذه الحقائق العابرة أن تكون قادرة على منح شعور مُلَطِّف للتعايش مع الذات.

هذا العجز في اللغة وما ينجم عنه من ألم يقودان إلى افتراض وجود قوة لا واعية في داخلنا تحرّضنا على العودة الدائمة إلى ماضينا، القريب أو البعيد، في محاولة منا لإضفاء شكل مؤقت من التجانس عليه، وتشبه عشرات آلاف الصفحات التي تتكوّن منها مذكرات نن، صور المراسلات المتخيّلة التي وضعها بيرس لنشاطنا الداخلي اليومي من أجل ترتيب حياتنا الماضية. إنها تبيّن ما يمكن تسميته الغريزة السردية وهي بصدد العمل، والتي تعيننا على تحمل حركيّتنا النفسية عبر حقنها بالتجانس والمعنى، كما يفعل المسرود الواضح للحلم عند الاستيقاظ. هذه الحاجة الملحة إلى القصّ - سواء طُبِّقتْ على النهار الفائت أم على السنوات المنصرمة - تعد دافعاً أساسياً لعمل نفسيّتنا، التي يعود إليها الفضل في حمايتنا من التشتّت.

لا شك في أن هذه الغريزة ـ التي تُفَضِّلُ إضافتها إلى قائمة الغرائز الفرويدية الأساسية ـ لا تنحو في جوهرها إلى الاختلاق. لكنها ملائمة بسبب استحالة إدخال عدد الأحداث وتنوعها في اللغة، لما تقدمه أوهام الاضطراب من صورة مقبولة للأحداث المبعثرة التي تتكون منها الحياة، من دون افتراض وجود هذه الغريزة السردية. إنها تعمل منذ الطفولة والتي لا يصحُّ اختزالها بالكذب . يصعب فهم جميع هذه المسرودات الوهمية التي تُبهجُ بها شخصيات هذا الكتاب جمهورها، من خلال انضمام هذا الجمهور المتواطئ في أغلب الأحيان، وهو مسرور بوحدة الواقع هذه التي تريح النفس.

وفي حال كانت نن ترى نفسها شخصية مجزّأة، فالأمر نفسه ينطبق على الرجال الذين تشاركهم حياتهم، والذين نخطئ إن وصفناهم صادقين كلياً في مقابل مع وجود هذه المتناقضات، والاستخدامات غير المعقولة للزمن. وهكذا، لا يمكن للغريزة السردية أن تنتشر بكل قوتها، من دون أن تصطدم بالحذر أو العداء. إلا لأنها تلاقي جمهوراً متسامحاً لدى ناشري المسرودات. غير عابئين بأن يقدم أحد لهم النصيحة فعلاً. لأنهم مشبّعون براحتهم النفسية، وبهيجة الوهم الخلّاق.

رسول الـ fake news ينتصر للحكايا

أحلام الطاهر

بيار بايار يريد كل شيء: متعة النص وصلابة النظرية والاعتراف الأكاديمي وقوّائم الـ «بيست سيلر»... عادة ما يظهر هذا الستيني النحيف الشاحب مرتدياً لباساً أسود يلتصق بجلده، يقود مُحاوره بلا رحمة بين سراديب من الكتب إلى غرفة ضيقة حيث يكتب ويستمع لجلسات مرضاه قبل أن يساله بإلحاح: «هاه؟ ما رأيك في نظريتي؟»

في مواجهة النصوص التي يحبها، ثمة مُنظّر يسكن بيار بايار، يدفعه إلى درجة «الجنون التأويلي» كأنها الطريقة الوحيدة التي وجدها كي يتخلص من الكتب التي تسكنه ويناى عنها. من غيره ينشغل بالبحث عن قاتل روجر أكروید الأرمل الريفي الثري في رواية أغاثا كريستي؟ عن الطرق لإنقاذ الأعمال الأدبية الفاشلة؟ وكيف نتحدث في كتب لم نقرأها؟ ينجح بايار في جعل اللغة كائناً خفيف الظل، ويجهد للإتيان بمجاز واقعي يكسر الحاجز بين الخيال والنظرية، يقول: «الأدب والتحليل النفسي حليفان في الفضاءات المعقّدة التي يفتحانها في مواجهة الخطاب السائد الذي أصبح اليوم كاريكاتورياً إلى أبعد الحدود».

أخذ المحلل النفسي والأستاذ المحاضر في الأدب الفرنسي على عاتقه مهمة الكشف عن خفايا النفس، لكنه لم يستقّ شواهده الاختبارية من الواقع المباشر أو التجربة اليومية، وإنّما من السجلات الأدبية بوصفها تختزل التجربة البشرية الأعمق. في كتبه، لا يتمّ الالتفات إلى الشخصيات الأدبية باعتبارها مجرد نماذج تخييلية، وإنّما كذوات تتمتع بوجود تاريخي فعلي. لكن، «للأسف ثمة من يصدّق كل ما يقرأه مثل دون كيشوت» يقول بحنق حين يُقدّم كتابه «كيف نتحدث عن كتب لم نقرأها» كنوع من الدليل الذكي الذي يفتح منفذاً للهرب من الكتب الجدية والشاقة.

القُراء من مختلف أنحاء العالم شكروا بيار بايار على «السماح لهم بعدم القراءة»، وقد سمعناه يشجع هذا التوجه الذي غذّى نجاحه بجمل مثيرة على شاكلة: «من الممكن جداً أن تخوض نقاشاً محتدماً عن كتاب لم نقرأه حتى. بل ربما خصوصاً، لو كان محاورك لم يقرأ الكتاب هو أيضاً».

حجة إضافية في يد منتقديه الذين استفزّتهم «الطرق التي نسلكها لكي لا نقرأ» واعتبروا خطابه تشجيعاً للعزوف عن القراءة، يجتذب الشباب الذين يستهويهم أي شيء أكثر بكثير مما يفعل الكتاب. لكن هذا التهجّم يعزوه بايار إلى سوء الفهم وعدم القدرة على التفريق بين مستويات الخطاب، بين الجد والسخرية، إذ ينبغي أن ننتبه إلى أن الكثير من الأمثلة التي يسوقها ليشيد عليها بنيانه النظري مستقاة من روايات.

> يريد للقارئ أن يتحول من قارئ سلبي إلى قارئ فاعل خلّاق بمعنى آخر: إلى كاتب

يقول: «عدد الأشخاص الذين اعترفوا لي بمعاناتهم مع القراءة مذهل! ومن الجيد أن يكون كتابي قادراً على ترميم الجراح النرجسية، لكنني لم أكتبه لهذا الغرض، لم أنصح أبداً بعدم القراءة. وكيف لي أن أفعل ذلك وقد تطلّب مني هذا الكتاب عدداً مهولاً من القراءات». لعلّ المفارقة أن بايار كان يبحث لوضع كتابه عن الشخصيات التي قادتها الظروف إلى مواقف حرجة تُحتّم عليها التحدث عن الكتب التي لم تقرأها. وقد أعاد قراءة فيليب روث مثلاً، مقتنعاً أنه سيجد شيئاً من جدوى.

مدخل الكتاب يأتي بأسلوب حكواتي مشوّق لكنه ملغوم: «ولدت في بيئة لا تقرأ فيها إلا القليل، وبالكاد نجد لذة في هذا النشاط، وعلى أي حال، لا أملك الوقت الكافي لأكرس نفسي له». وليس علينا نحن القراء أن نصدق هذه الشائعة، فقد كان بايار طفلاً مفتوناً بمحاولات أخته للكتابة ولطالما صرّح بأنه يقرأ كي يكتب «ودائماً بدافع الإعجاب أو الغيرة». مكتبة العائلة لم تكن تخلو من مؤلفين أمثال دانيال روبس، وجورج برنانوس وهو نفسه كان يلتهم كتابين عندما كان يدرّس في المعاهد الثانوية في الشمال، وكانت الرحلة تستغرق أربع ساعات بالقطار يملؤها برواية في الطريق إلى هناك، وأخرى عند العودة. وبالتالي ما كان للحياة العاطفية المتعددة، كالتي عاشتها أناييس نن أن تكون لولا تواطؤ أولئك الذين يفترض أن يكونوني أتجنب واجب التعليق على كتب لم أقتحمها». عند هذا الحد، يمكننا الانتقال إلى زاوية أوسع من رؤية بايار، إذ يعتبر أن القراءة هي أيضاً لا قراءة لأن فعل الإمساك بكتاب وفتحه هو أيضاً فعلٌ لا إرادي يتمثل في إغلاق كل الكتب الأخرى التي كان من الممكن أن نختارها. لكن كيف نشقّ طريقنا بين كتب العالم كلها؟ يُري بايار القارئ أن المهم ليس أن يقرأ هذا الكتاب أو ذلك «فتلك مضيعة للوقت»، بل أن ينظر إلى مجموع الكتب نظرة تُسمّيها إحدى شخصيات موزيل «نظرة شمولية». رواية «رجل بلا صفات» تُذكّرنا بهذه الإشكالية القديمة بين الثقافة واللانهاية، وتقدّم أحد الحلول الممكنة لما نشعر به من إحباط ومحدودية أمام العدد الهائل من الكتب التي سنظل جاهلين بها إلى الأبد، حيث يصرّح أمين المكتبة بحلّ سهل التطبيق: «أتريد أن أخبرك كيف أعرف كل الكتب؟ لأنني لا أقرأ أياً منها».

وهنا أيضاً يأخذ النقاد على بايار عدم اهتمامه بمضمون الكتاب لمصلحة ما يسميه «موقعه»، فإذا كان الحديث عن الكتاب متعلقاً بأي شيء آخر ما عدا الكتاب نفسه، تصبح الكتب كلها سواء والكُتّاب على مستوى واحد!

صحيح أن مكتبيّ موزيل يحرص على ألا يدخل إلى محتوى الكتب لكنه ليس مستهزئًا بها مُهملاً لها كما يتبادر إلى أذهاننا، على العكس، حبه للكتب . ولكن للكتب جميعاً لا لبعضها. هو الذي يدفعه إلى أن يبقى بحذر على تخومها كي لا يجرّه اهتمامه الزائد بأحدها إلى إهمال الأخرى. يقول بايار إن من يحشر أنفه في الكتب، فقد خسرته الثقافة برمتها، لأن الثقافة الحقة يجب أن تنزع إلى الاستيعاب الكلي، ولا يجوز أن تُختزل إلى مجرد مراكمة للمعارف التفصيلية. نتيجة البحث عن هذه «الشمولية» هي أن نظرتنا إلى كل كتاب على حدة تتبدل من حيث إننا نتجاوز فرديته لنهتم بالعلاقة التي تربطه بغيره من الكتب. وهذه العلاقات هي ما ينبغي للقارئ أن يسعى للإحاطة بها.

الفهارس إذن، الروابط والصلات هي ما يجب على المثقف أن يتعرف إليه لا هذا الكتاب أو ذاك على وجه التحديد. صاحب «من قتل روجر أكرويد» (1998) ينزع القداسة عن الكتاب قبل أن يتفرغ للكاتب وسلطته حين يتعقب روايات أغاثا كريستي ويعيد فتح التحقيق في القضية البوليسية ليفنّد استنتاجات المحقق البلجيكي الشهير هيركول بوارو، ويثبت لنا أن الرواية مهما كانت خاضعة للسيطرة، تُقدّم دائماً لقرائها هامشاً من المناورة وتدعوهم إلى التعاون بنشاط أكبر مما يعتقدون عادةً أنهم مخوّلون للقيام به. يريد بايار للقارئ أن يتحول من قارئ سلبي إلى قارئ فاعل خلّاق بمعنى آخر: إلى كاتب.

على أي حال، الخيال دائماً هو الموضوع الإشكالي الذي يتعارض مع المصداقية في كتابات بيار بايار أو «صديق الـ fake news» ما يسميه منتقدوه، فهو يعتبر الإنسان كائناً لغوياً يعتاش على الحكايات ويرغب بسماع واختلاق القصص، في «كيف نتحدّث عن وقائع لم تحدث؟»، يسوق مثال الصحافي الألماني كلاس ريلوتيوس الذي طُرد من صحيفة «دير شبيغل» بعدما «صاغ» بعض تقاريره بطريقة أدبية: اخترع أسماء أخرى للشخصيات، أضاف بعض التفاصيل من هنا وتكتم على أخرى هناك متناسياً أن عالم الخيال الأدبي لا يتوافق مع النزاهة الصحافية. ولبايار طريقته في المقاربة، إذ يعتبر أنّ الأدب يكثّف الواقع من أجل الوصول إلى شكل من أشكال الحقيقة المختلفة عن الحقيقة التاريخية. وفي النتيجة، من العبث مكافحة القصص أو الاستخبار عنها واستبدالها بالوقائع الصحيحة. ماذا نستفيد نحن القرّاء حين يعترف ريلوتيوس تحت نير الأوامر الأخلاقية بأنه نادم ويشعر عميقاً بالعار؟ بأنه مريض ويحتاج إلى مساعدة؟ أو حين تعتذر الصحيفة لقرائها الذين «تعرّضوا لاقتباسات احتيالية، تفاصيل شخصية مختلقة أو مشاهد وهمية» بعد نشر هذه القصص المفبركة رغم وجود طاقم متخصص للتدقيق في صحة الأخبار؟

يستدعي الكتاب أيضاً رواية ميشا ديفونسيكا «البقاء على قيد الحياة مع الذئاب» (1997) حيث تروي كيف تبنّتها الذئاب عندما كانت تعبر أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، وقد حلل الطبيب النفسي بوريس سيرولنيك هذه الحكاية باعتبارها كذبة تاريخية وحقيقة ذاتية، فلربما احتاجت ميشا إلى أن تروي هذه القصة لنفسها لتحافظ على توازنها النفسي، وقد نجح الكتاب في استقطاب مئات الآلاف من القراء الذين تقبّلوا فكرة أن الذئاب قد تدافع عن قيم العائلة وتتبنّى الأطفال المتخلى عنهم، ما اضطر الكاتبة للتبرير لاحقاً: « كنت أسرد دوماً عن نفسي قصة مختلفة أخرى، حقيقة أخرى». ويروق لبايار أن يستعرض هذه الحقائق الأخرى، هذه القصص المغلوطة ويخبرنا أن فرويد مثلاً صاغ بحوثه عن «الطاقة المكبوتة كمحرك أساسي للإبداع»، استناداً إلى حياة ليوناردو دافنشي الخالية من المغامرات. لكن الأبحاث اللاحقة ستكشف أن حياة دافنشي العاطفية كانت مثيرة. خاصة بالنسبة إلى القرن الخامس عشر. وإن ظلت محاطة بالسرية في فلورنسا فلأنه كان يفضّل رفقة الذكور الأصغر سناً.

ولهذه الأمثلة المتراصّة المبنيّة بإحكام مثل «داون تاون» أن توقعنا في شباك نظرية جديدة: من خلال تعقّب «الأخبار الزائفة» ودحض الأساطير بإصرار ومحو الخرافات وتبديد الأوهام، السنا نجازف بتشييد عالم كامل صادق وموثوق وموضوعي ومضمون خالٍ من الأكاذيب؟ عالم بلا خيال، بلا فلسفة، بلا أدب؟

ترجمة

حكايتان شعبيّتان من تشيلي*

عن الإسبانيّة **أحمد عبد اللطيف**

لا يظهر في الحكايات الشعبية في تشيلي حوريات طيبات أو شريرات، لا غيلان ولا تنانين. فالدور الذي تلعبه الحوريات الطيبات في الحكايات الأوروبية، يتكفّل به في الحكايات التشيلية العجائز أو الحيوانات، وكثيراً ما تقوم به مريم العذراء أو القدّيس يوسف، أو الملاك الحارس للبطل، أو أي شخصية سماوية أخرى. أما الحوريات الشريرات، فدورهن محجوز للساحرات، وهن عادة سيدات عجائز وفظيعات، بينما يقوم العمالقة أو العصابات أو الساحرات بدور الغيلان، كذلك الحيّات أو أي نوع آخر من الحيوانات الخرافية؛ والتنانين يقوم بدورها ثعابين برأس واحد أو بسبعة رؤوس. أما السحرة الذكور، فلا يشغلون حيزاً. هنا نموذجان من هذه الحكايات.

(المترجم)

1. الأب السيّئ

هذه حكاية رجل كان لديه ثلاثة أبناء، بنتان وولد، لكنه كان يُظهر تفضيله لابنته الكبرى، وكان يسميها دائماً ملكة البيت، فلا يجب أن تعمل ولا تفعل شيئاً، لا من أجله ولا من أجل أخويها الأصغر منها. وذات يوم أحد، ذبح الرجل معزاة، وبعدما علّقها، راح إلى القداس مع ابنيه الصغيرين، تاركاً ابنته الكبرى كحارسة للبيت.

حين عاد من القداس، وجد اللحم وقد أكله الكلاب، فسأل ابنته ماذا حدث، فحكت له أنّ بعض الكلاب قد جاءت وأكلت المعزاة، ولأنه قد منعها من فعل أي شيء، لم تهاجمها وتركتها تأكل اللحم. لقد فعلت ذلك حتى تبرهن لأبيها أنه يجب أن يسمح لها بالقيام بالواجبات المنزلية.

غضب الرجل لما حدث، وشاط أكثر حين قالوا له إن القرية لا مكان بها لشراء اللحم.

حين رأت البنت أباها غاضباً، فكرت:

— ماذا أقدم لأبي من طعام؟

حلّت المعضلة بقطعة لحم من ساقها، وطبخت عليها. حين تذوقها الأب، راقت له، وطلب منها أن تقدم له الطعام نفسه في المساء.

وفي اليوم التالي، ولعدم وجود اللحم بالقرية، قطعت الصبية قطعة أخرى من ساقها الأخرى، وقدمتها لأبيها مطبوخة.

وسأل الرجل الفتاة أين وجدت هذه اللحمة اللذيذة، فأجابته بأنها قطعتها من ساقيها، والآن لم يبق لديها لحم آخر.

حينئذ أخبرها بأنه سيقتل أحد ابنيه الصغيرين حتى يحصل على طعام.

فقالت الابنة الكبرى لأخويها، وكانت رقيقة القلب وتحبهما جداً، أن يرحلا، لأن أباهم يريد أن يذبحهما ليأكلهما، وأعطتهما خبزاً مخصصاً للطريق.

ركض الطفلان، وبعد سير طويل قابلا امرأة عجوزاً، فنصحتهما بألّا يشربا ماءً حتى يعبرا ثلاث بحيرات، لأنهما لو شربا من البحيرة الأولى سيتحولان إلى كلبين، ومن الثانية سيتحولان إلى خروفين، ومن الثالثة إلى معزتين.

واصلا سيرهما، ووصلا إلى بحيرة بمياه شفّافة تغوي بالشرب. ومع الحر والتعب، كان الولد يشعر بالظمأ.

— يا أختي، فمي جاف، سأشرب من هذا الماء.

— كيف ستشرب من هذا الماء؟ أجابته البنت، هل تريد أن تتحول إلى كلب؟ هيا نمشي من هنا.

وسحبته من يده، وجرّته وراءها.

بعد قليل، وصلا إلى البحيرة الثانية، وإن كان ماء الأولى شفافاً، فماء الثانية كان مراة. وكان الولد يبكي.

— يا أختي، أنا لا أحتمل؛ سأموت من الظمأ.

وبجهد عنيف ومُلَّح، بدون أن تستطيع الأخت القدرة عليه، هرب منها، ونزل الماء حتى بطنه، وشرع في الشرب.

وبمجرد أن ابتلّت حنجرته بالماء الأول، تحول إلى خروف.

والحزن أصاب البنت وواصلت طريقها وخلفها الخروف الصغير.

هي أيضاً كانت تشعر بالظمأ الشديد، لكنها لم ترغب في الشرب حتى تعبر الثلاث بحيرات.

وبعدما سارا لعدة ساعات، قابلا سيدة أخرى عجوزاً، فسألت الطفلة إلى أين تذهب. والطفلة، بدموع في عينيها، حكت لها كل ما جرى، وقالت لها إنها لا تعرف إلى أين تذهب.

حينئذ قالت لها العجوز أن يبقيا معها، وإنه لن ينقصهما شيء. وافقت الطفلة، وهناك بقيت مع خروفها، وعملت في مساعدة العجوز الطيبة في أعمال البيت.

ونمت الطفلة في جسدها وجمالها، وكان جمالها كبيراً إلى حد أن ذاعت شهرتها في كل مكان وبلغت آذان الملك الذي أراد أن يقنع نفسه بالواقع.

وذات يوم، خرج الملك بصحبة رجال القصر، وتوجّه إلى بيت السيدة العجوز. في الدهليز المؤدي إلى الشارع، كانت إليسا (وهذا اسم الفتاة) جالسة على مقعد وبجانبها سلة مخاطة، وتخيط بهمة. كانت شاردة جداً في عملها، فلم تشعر بمجيء الملك وحاشيته.

لم يفعل الملك إلا أن رآها، فوقع في غرامها وتاه، وطلب من العجوز أن يزوجها، فقالت العجوز:

— لو وافقت إليسا، ليس لديّ مانع. ووافقت إليسا، بشرط أن يوافق الملك على أن تحمل معها الخروف الصغير، وأن يعتنوا به أشد العناية، وقالت للملك إن الخروف كان أخاها، وحكت له كل ما جرى.

ومرت أشهر من السعادة على العريسين، وكانا يتبادلان الحب بقوة، غير أنهم ذات يوم أعلنوا الحرب على الملك، واضطر للخروج على رأس جيشه.

وقبل أن يخرج، أوصى رئيس حرس القصر برعاية إليسا، وكلّفه بألا يسمح لأحد بالدخول إليها أثناء غيابه. وكان الملك يعرف أن لزوجته عدوات كثيرات حاقدات عليها لحظها، كن يكرهنها حد الموت رغم أفعالها الطيبة، وكان يخشى أن تتآلم بأي طريقة.

وذات يوم جاءت أربع سيدات أنيقات جداً إلى باب القصر، وطلبن من رئيس الحرس أن يقودهن لمقابلة الملكة لأن لديهن أخباراً شديدة الأهمية عن الملك. لكن رئيس الحرس اعتذر لهن بذريعة أنه غير مسموح لأحد دخول القصر، لكن بما أنها أخبار مهمة للملكة، فلا مانع من أن يتركن لها الرسالة التي يودددن إرسالها. وهن قلن حسناً، وطلبن منه، بما أنه غير مسموح لهن الدخول، أن يترجى الملكة بأسمائهن أن تخرج لهن لدقيقة واحدة لتسمع إليهن، وبهذه الطريقة لن يعصي أحد أوامر الملك.

حمل رئيس الحرس الرسالة للملكة، ولأن إليسا كانت شديدة الطيبة، لم ترغب في كسر خاطر السيدات، فخرجت إلى الدهليز لتستمع إليهن. فقالت النسوة إن ما يوددن حكيه طويل وإنهن يحتجن إلى أن تكون بمفردها؛ ثم لماذا لا تصحبهن إلى الشاطئ وهناك يتحدثن بلا رقيب.

وقبلت الملكة، وخرجن جميعاً ومن ورائهن الخروف الذي لم يكن يترك أخته.

في الطريق بدأن يسردن على إليسا حكاية مشوقة للغاية، وهكذا ابتعدن عن القصر بدون أن تشعر، وخرجن في النهاية من المدينة، سيراً على ضفاف البحر.

وصعدن، وحين غدون في قمة مرتفعة، دفعن الملكة فاختفت عن العيون.

لكن في تلك اللحظة، كان ثمة حوت عند سفح الصخرة، وكان مفتوح الفم يتنفّس الهواء، فوقعت الملكة داخل فمه دون أن يصيبها أي سوء. فابتلع الحوت الملكة وغاب في عمق المحيط.

الخروف وحده استطاع أن يرى ما حدث حين دفعن الملكة، واعتقد أنها غرقت فعاد إلى القصر غارقاً في حزنه.

ورئيس الحرس، حين رأى أن الملكة لم تعد، قلقَ من أن يكون مكروهٌ قد وقع لها، جهّز نفسه وخرج للبحث عنها برفقة مجموعة من الحراس، وحين عاد الملك، ظافراً في الحرب إلى حد أن رفع أعداؤه الراية البيضاء، تقدم قواته ليبلّغ زوجته بنفسه بالخبر السعيد. سأل عنها رئيس الحرس، فلم يجد هذا مفراً من أن يحكي له ما جرى حتى خروج الملكة، فلا شيء أخر يعرفه، وعودة الخروف وحيداً وحزيناً.

حينئذ أمر الملك بإحضار الخروف.

طوطميّات وتعاليم تشيلية تعود لما قبل غزو كولومبوس

حين وصل، ربت عليه وطلب منه أن يقودهم إلى حيث راحت أخته ويمامئ.

فقادهم الخروف إلى الصخرة وتوقّف هناك، ومأما.

لكن ذلك لم يكن كافياً، إذ لم يكن في محيطهم أي أثر للملكة. حينئذ سحب الملك سيفه ومشّاه على رقبة الحيوان، فازال جزءاً من فروته، كأنه سيذبحه، فتكلم المسكين من الخوف وقال:

— يا أختي يا إليسا، ها هم سيقتلونني.

وردت عليه إليسا:

— أنا في بطن الحوت.

— كيف يمكن أن أحررك؟

حينئذ أمر الملك بتجفيف البحر، وصيد الحوت، وأمر بفتح بطنه وأخرج الملكة منه، حرة وسليمة، وجميلة كما كانت من قبل.

ولكي تضحك الدنيا أكثر، انفكّ سحر أخي الملكة في اللحظة نفسها، وظهر وقد غدا شاباً جميلاً ومبتهجاً.

وحكت الملكة للملك وأمر الملك في الحال بالبحث عن النسوة الأربع. وحين عثروا عليهن، ربطوا كل واحدة منهن في ذيل بغلة، وضربوا البغلة كي تركض بأقصى سرعة، فتمزّقت النسوة.

وعاش الملك والملكة لسنوات طويلة، في سعادة غامرة، وأنجبا البنات والبنين.

2. هراوات خارقة

من أجل أن نعرف فنحكي، ولكي نحكي فنعرف.

هذه حكاية سيدة عجوز، كانت مشهورة بأنها ساحرة. كانت تعيش في قرية لا أقرباء لها فيها ولا معارف، إلا سيدة ثرثارة لا تعرف الصمت قط، وسيدة أخرى ماكرة وفاتنة.

ذات يوم راحت السيدة الثرثارة إلى بيت الساحرة، وقالت لها:

— يا سيدة، لماذا لا تمنحينني قدرة خارقة لأجلب على الأقل ما يسد رمقي؟ انظري كم أنا فقيرة!

والساحرة ردت عليها:

— لكن يا سيدة، أنتِ لسانك طويل جداً، ولا يحقّ لي أن أمنحك شيئاً، لأنك تحكين كل شيء.

والثرثارة تكلمت:

— لا يا راعيتي، أعطيني قدرة واحدة فقط، ولن أحكي لأحد.

- حاضر، قالت الساحرة، ساعطيكِ هذا الكيس، وحين تشعرين بالجوع، قولي: «أيها الكيس الخارق، الخارق بأمر الله، املأ لي هذه المنضدة بأشهى المأكولات.

وهكذا فعلت حين عادت إلى البيت، وامتلأت أطباقها بأفضل الطعام.

وجاء يوم الأحد، وحين كانت تتجهّز للذهاب إلى القداس، فكرتْ:

— كيف أترك كيسي هنا؟ أي أحد يمر من الشارع يمكن أن يدخل ويسرقه.

حينئذ خطر ببالها أن تسير به حتى سيدة أخرى تعيش بالقرب منها، وأخبرتها بالتميمة التي علّمتها لها الساحرة.

حين انصرفت الثرثارة إلى القداس، ألقت من الكيس التميمة، وقبل أن تنهيها كانت المائدة قد امتلأت بالطعام.

هذه السيدة، كما قلنا، كانت ماكرة، هكذا فكرتْ:

— ساكون حمقاء لو سلمت للثرثارة هذا الكيس الثري، سأبدله بآخر يشبهه.

وفعلت ما فكرت.

بانتهاء القداس، راحت السيدة الثرثارة لتسترد كيسها، والسيدة الماكرة أعطتها كيساً شبيهاً بكيسها، فحملته الثرثارة بهدوء وانصرفت.

عادت الثرثارة إلى بيتها بجوع كبير، ووضعت كيسها على المائدة وتلت التميمة:

— أيها الكيس الخارق بأمر الرب، املأ هذه المائدة بأشهى المأكولات.

لكن المائدة بقيت خالية كما كانت. كرّرت التميمة، وظلت المائدة خالية. حينئذ فهمت أنها بدّلت الكيس، ويائسةً، راحت إلى السيدة الساحرة، وحكت لها ما جرى.

غضبت الساحرة غضباً شديداً، ولم ترغب في أن تمنحها كيساً آخر خارقاً، لكنها ترجّتها فقالت لها في النهاية:

— لكن لا تفعلي ما فعلته مع الكيس! فلا تحكي لأحد. ساعطيك هذه الهراوات، وستصنعين أثاثاً لتبيعيه، وبثمنه كلي والبسي. قولي فقط: «اعملي يا هراوات»، وستعمل.

وهكذا فعلت، وكانت الهراوات تصنع الأثاث وكانت هذه متعة خالصة، ولم تكن تستريح إلا بحلول الليل.

وجاء يوم الأحد، وحين كانت تستعد للذهاب إلى القداس، فكرت:

— من يمكن أن أأتمنه على هراواتي؟ إن تركتها هنا، أي أحد يمر بالشارع يمكن أن يراها، ولو أعجبته سيسرقها. لكن لو تركتها عند السيدة الماكرة ستبدلها كما بدلت الكيس. لكن ساتركها لديها بدون أن أخبرها بالتميمة.

وراحت لتودعها إياها، وكلفتها حفظها بينما تحضر القداس.

لكن السيدة الماكرة، وكانت شديدة المكر، كانت لاحظت أن السيدة الأخرى تصنع الأثاث وتبيعه من لا شيء، بعد أن كانت تموت جوعاً، فراحت لتتنصت عليها وذات صباح سمعتها تلقي تميمتها على الهراوات: «يا هراوات، اعملي»، وعبر ثقب رات كيف كانت الهراوات تعمل: تقطع الخشب الذي تحضره هراوات أخرى، وتنشره، وتصمّمه، وتصنع منه أثاثاً. ولأن الخشبات كانت كثيرة، كانت تصنع أطقماً من الأثاث.

حين خمّنت السيدة الماكرة أن الثرثارة قد وصلت إلى الكنيسة، قالت للهراوات: «يا هراوات، هيا اعملي»، لكنها كانت تخشى ألا تنتهي الهراوات من صنع الأثاث قبل عودة السيدة الثرثارة، لذلك كانت تكرر كل ثانية: «يا هراوات، هيا اعملي»، وكانت الهراوات ترتبك فتعمل بسرعة، حتى ملأت البيت بكل نوع من الأثاث، ولأنها لم تجد مكاناً لمواصلة عملها، بدأت تعمل فوق السيدة العجوز نفسها.

إحدى الهراوات نشرت شعرها، أخرى نشرت أنفها، وثالثة نشرت ضلوعها، ورابعة سمّرت يديها، وخامسة ضربتها، وسادسة ضربتها بالمنشار، في النهاية، كل هراوة قامت بعملها في العجوز كان السيدة خشبة.

حين عادت السيدة الثرثارة من القداس، وراحت لتتسلم هراواتها، كانت الهراوات لا تزال تعمل فوق السيدة الماكرة، وقد حوّلها إلى تمثال لـ سان لثارو. كانت المسكينة تصرخ بكل فمها، وكان فمها كبيراً، وكانت تقول للهراوات: «يا هراوات، لا تعملي»، لكن الهراوات كانت تعمل بدون توقف.

كانت الثرثارة تشعر بالأسى، ولأنها لم تكن تعرف طريقة لإيقاف الهراوات عن العمل، راحت تركض إلى الساحرة لتطلب مساعدتها.

لم ترغب الساحرة بأن تصحبها في البداية، غير أنها وافقت في النهاية وأمرت الهراوات:

— توقفي يا هراوات، وعودي إلى صاحبتك.

وفي الحال توقفت الهراوات عن العمل، وتجمّعت ودخلت تحت ذراعَي الساحرة التي انصرفت في غضب.

وماتت السيدة الماكرة من الضربات والتقطيع، لكنها في النهاية شُفيت، وبقيت عليها آثار الضرب. وسواء السيدة الأولى أو الثانية، لم تستطيعا العيش إلا من بيع الأثاثات التي صنعتها الهراوات.

* حكايتان مجتزآتان من كتاب رامون لابال: «حكايات وأساطير لاتينية» (ترجمة: أحمد عبد اللطيف) الصادر حديثاً عن دار «ذات سلاسل»، الكويت.

شعر

كلب ميّت ينْبح

مهدي النفري*

لا شيء،
كلب ميت ينبح
من دون صوت

■■■

في هذا الصباح،
لم لا أقول الليل وأكمل
حكايتي،
النوم يغطّ في مكان آخر من
العالم
بينما ينبح رأسي، يطارد
فريسة سبقته إلى الفناء،
يعرف جيداً أنّ اللعبة لا
عودة منها،
لا ثمر فيها،
مع ذلك يبقى ذاك الرأس
متشبّثاً بالجسد،
يمسك به بقوّة ولا أعرف
سبب
ذاك البقاء،
لسنا أصدقاء جيّدين
لبعض،
ولا يجمعنا أيّ شيء
سوى درب غريب التقينا
فيه صدفة،
من النوافذ التي أرهقتها
بالإغلاق
من النهارات التي أخّطأتُ
في انتظارها لي
من الأرق الذي جعلته لا ينام
معي
من النسيان الذي لمْ يرغبْ
أنْ يكون خارج الذاكرة.

■■■

ساعتذر
من ذاك الكرْسي
وهو ينتظر الفراغ
أنْ يجلس وحيداً
دون نادل
أو رجل
سيأتي من أقصى الليل
كيْ يكتب عن الغرباء.

***

ساعتذر
من الضوء
وهو يستوحش كلّ
أخطائي.

■■■

ساعتذر
منْ هذا
الورق
من الكتب
من الصور
من الظلال
من الصامتين
من المتعبين
من كل الحكايات التي
حذفتها
ساعتذر، ساعتذر...
إذ لا أحد
هنا أو هناك
يودّعك.

■■■

لمْ تعد الأشْياء كما هي؛
القصيدة
الحياة
النّهْر
العصْفور
الشجر
الإنْسان
الأيّام
كلّ شيْء صار يحنّ إلى
نافذة.

■■■

فرّاعة الصباح،
رجل ذهب به السرير
إلى أحلامه.

■■■

لست من أهل الشعر
لا أبيع ولا أشتري في سوقه
أنا رجل يحبّ النّوْم كثيراً
يحبّ أنْ ينْبع كلّ ريشة
كلّ ورقة منْ نبات
كلّ سمكة
وجدْتني كلّ يوم أصبغ
حيطان البيت،
بألْوان غريبة التركيبة،
لا لشيء، فقط من أجل
التّكرار،
والاعتراف لاحقاً بقدرتك
على التخلّص منك
دون أنْ يكتشف أحد
أنك تنام
في قبرك
منذ النّطفة.

■■■

حسناً،
ساعتذر منْ تلك الأيّام
من تلك الدّروب
من أولئك المؤْتى
من الماضي
والمستقبل أيضاً.

ساعتذر من كلّ منْ غاب
أو يفكّر في الغياب.

ساعتذر
من الباب الذي أرْعجته
كثيراً
من النوافذ التي أرهقتها
بالإغلاق
من النهارات التي أخْطأتُ
في انتظارها لي
من الأرق الذي جعلته لا ينام
معي
من النّسيان الذي لمْ يرغبْ
أنْ يكون خارج الذاكرة.

■■■

ساعتذر
من ذاك الكرْسي
وهو ينتظر الفراغ
أنْ يجلس وحيداً
دون نادل
أو رجل
سيأتي من أقصى الليل
كيْ يكتب عن الغرباء.

■■■

اتذكر جملته الأولى كانَ
وقعها الآن وليس قبل
نطفة أبي،
أنا على قيد الحياة أيها
العابر
أنا على قيد الحياة أيها
الغريب
ومنْذ تلك اللحظة وأنا
أجري
أحاول
التخلّص
من
القبْر

■■■

يكْثر
الكلب النّباح
عندما يرى ظلّه

هلْ نحتاج الشّعْر؟
قد تبدو اللغة مدعاة
للضّجر
حين تمارس لعبتك الوحيدة
في الطيران
تصْنع قارباً من غيمة ثمّ
تضع رأسك هدفاً للسّهام
اللعبة مسلّية لدرجة البكاء
كثيرون سيلعبونها معك،
لا أحد منهم سيتمكّن من
الطّيران،
سواك
ستقول في أيامك القادمة،
لئيت الرّيش يعرف طعم
الفقْد!!
ليت ساعة الحائط ترتمي
في حضْنك
وتخبرك عنْ رجل جاء منْ
تراب
وصار غراباً يعلّم روحه
كيف تنقر في الغياب،
أعرف طعماً مرّاً
جرّبته يوماً حين ربّيْت
الحياة في بيْتي،
وكلّ ما يدعو إلى الطّيران
لا يتعبنْكم حالي،
ولا أدعوكم للسير ورائي،
هل أكمل لكم حكايتي؟
أمس عدت من رأسي،
يتردّد كثيراً في الآونة
الأخيرة الهروب من الرأس،
عدت جاملاً أحلام عصفور
فقد الشّهية في الطيران
أدخلته قلبي
وقبل أن أقول له تصبح على
أحلام سعيدة
قرأت له حكاية كتبتُها أمّي
تقول الحكاية
يذهب الغرباء إلى الله حفاة
عراة،
زادهم الحنين ولباسهم
الفقْد،
قبل أنْ أكمل الحكاية
نفْت، نمت،
استيقظت على همْهمة
العصفور وهو يغنّي لي
(دللول، بالولد يبني،
دللول)

■■■

السّاعة الثّانية فجْراً
كلّ ليْلة هذا وقْت خروجي
إلى العالم،
في خضمّ وصراع النّهار
معي
أترك رجْلي خارج البيْت
وأدْخل مزْتاح البال،
أحب جدّاً أنْ أكون بلا جسد
في بيْتي،
الجسد شرّ لا بدّ منْه،
شخْص حسود
لا يحبّ الخيْر لأحد سوى
نفْسه،
ها أنا أخْرج زاحفاً
الظّلام والسّكينة في
الشّوارع،
بعْض الأصْوات تأتي
بمحيّة من الرّيح
لتعانق أغْصان الشّجر،
وأفْكار رجل يزْحف نحْو
طفولته الّتي شاختْ،
نحْو أحلامه المُعلّقة في
طرف ما منْ هذا العالم،
يأمل في أنْ يستطيع
النّهوض يوْماً ما
ويستعيد عافيته،
لكن الغريب غريب!!!
أسْمع صوْت «القطّ» وهو
يتغوّط،
قلْت لي،
ها أنْت يا مهْدي،
تشمّ رائحة العالم،
هنيئاً
لمنْ مات
وله قبْر
قرْب أمّه.

■■■

أفكّر
في أشْياء كثيرة
دفْعة واحدة،
مثلاً،
يوْم أمْس ذهبْت إلى البحْر،
وضعت صنّارتي بجانبي
وبدأت أغنّي للسّمك،
رأيْت سفينة مهْجورة تلوذ
بها الطّحالب
وكثير من الطيور،
قلْت لنفْسي،
ها أنْت تجْمع زادك لهذا
النّهار،
فاكْتث
في دفْترك
أنّ الحياة
تكون أجْمل
لوْ أنّك منحْت
الآخرين
طعْمها الجميل.

* العراق/ هولندا

سياسة

النضال العالميّ ضدّ الإمبرياليّة يمرّ بفلسطين

إعداد **زياد منى**

يأخذنا كتاب «فلسطين: مقدمة اشتراكية» (منشورات هايماركت، 2020) الذي شارك في كتابة فصوله التسعة مجموعة من الباحثة العرب والأجانب من أهل الاختصاص، إلى عقود مضت عندما كانت الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة في بداياتها، ونقطة جذب لمجمل حركات التحرر في دول عربية والمعارضات العربية الوطنية والقومية، من عُمان والبحرين وحتى من مشيخات الإمارات العربية المتناحرة وجنوبي اليمن المتحرر حديثاً من الاستعمار البريطاني وإلى المغرب الأقصى. في تلك الأيام، عمدت الحركة الوطنية الفلسطينية إلى إقامة علاقات وثيقة مع جبهة التحرير الوطني في فيتنام ومع القائد الفيتنامي الأسطوري الجنرال جياب، ومع الصين قبل أن تتحول إلى رأسمالية الدولة الاحتكارية، ومع كوبا، ومع قوى كردية ثورية ومنظمات تركية مثل جيش التحرير الشعبي التركي والجيش الأحمر الياباني ومع مختلف قوى الحرية والتحرر في العالم في تلك العقود. هذا قبل أن ينتهي أمرها إلى أن تصبح مؤسسة سياسية يمينية استبدلت علاقاتها مع «أصحاب الجلالة والفخامة» ومع وكالة الاستخبارات المركزية وحلف الناتو بقوى التحرر العالمية التي كانت إوما زالت] تتضامن مع قضيتنا الوطنية التحررية رغم ارتداد جماعة أوسلو.

طلائع انتقال الحركة الوطنية الفلسطينية من معسكر الثورة إلى معسكر الاستسلام، معسكر التسويات الذي بدت «طلائعه» تظهر للعيان بالخضوع لإملاءات الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ذات الصلة، وتركها «للملك الصغير الأجير عميل الإمبريالية الفاجر عاهر الأردن وجدّه الملك الأجير الذي أجروه على العرب كلهم وعلى فلسطين وعلى شرفنا ... إلخ»، كما كان يسميه قبل هزيمة حزيران وما تبع ذلك من رهن قرار القاهرة للرجعيات العربية، وقبول استبدال أموال البترودولار الفاسدة والمفسدة من الرجعيات العربية بالاعتماد على جماهير شعبنا في الأردن على وجه التخصيص.

المؤلف بفصوله المختلفة لا يتعامل مع تلك المرحلة، لكن أساس رسالته التذكير بأن جوهر قضية فلسطين جزء لا يتجزأ من النضال العالمي ضد الإمبريالية، وليس خلافاً على حدود كما تريده قيادات أوسلو الفاشلة. الكتاب يذكّر القراء ببديهيات الصراع مع العدو الصهيوني والمعسكر الغربي المؤيد له وداعمه، وكيفية مواجهتهم، خصوصاً بعد انتقال معسكر الرجعية العربية إلى التحالف العلني مع العدو الصهيوني.

محرّرا المؤلف وكاتبا المقدمة وهما الناشطة الفلسطينية سمية عوض والناشط الأميركي بريان بين، وكلاهما مقيمان في الولايات المتحدة، كتبا: «إذا كنت تقرأ هذا المؤلف، نتخيل أنك تهتم. وتريد معرفة المزيد. تريد صقل معرفتك أو تطوير مهاراتك أو تحليل المعلومات من خلال إطار ثوري واشتراكي. أنت جزء من اليسار المزدهر الذي يرفض قبول الوضع الراهن والبقاء صامتاً بينما العالم يحترق من حولنا. ذلك ما يمكن للمرء القيام به؟ قم بالتوصيل. عبّر عن حبك، تصوّر طرقاً إبداعية لاتخاذ الإجراءات، احضر اجتماعاً محلياً، أو قم بعمل منشور، أو ساعد في تنظيم عرض توضيحي، أو تطوع في حملة لجمع التبرعات، أو ابحث عن حملة سحب استثمارات، أو نسق لوحة، أو ارفع في الجمهور، أو قم بتثقيف صديق، أو إعادة تغريد، أو المشاركة في وسائل التواصل الاجتماعي أو انستغرام، وتعزيز الإشارة عبر الإنترنت... متحرك، إنها دولة فصل عنصري آخذة في الاتساع، وهي مهيأة لمذبحة قادمة. إن دعم فلسطين أمر حتمي لأولئك الذين يعلنون الوقوف إلى جانب العدالة».

محررة العمل وزميلها قسّماه إلى ثلاثة أجزاء أولها «الظروف المعطاة والمنتقلة من الماضي» الذي يضم ثلاثة فصول ويبدأ بتحديد جذور النضال اليوم وإلقاء الضوء على النكبة والأيديولوجية السياسية في جذور المشروع الاستعماري-الاستيطاني الإسرائيلي الصهيوني، وينتهي بتقديم سياق تاريخي لحركة التحرير الفلسطينية الممتدة من النكبة إلى الانتفاضة الثانية. فهم هذا التاريخ هو مفتاح استخلاص الدروس من الماضي ورسم مسار النضال اليوم. هذا الفصل يذكّرنا برسالة مؤلف «اليسار الفلسطيني وانحساره: معارضة موالية» الذي سبق لنا عرضه في هذا المنبر (راجع «الأخبار» 2020/10/31).

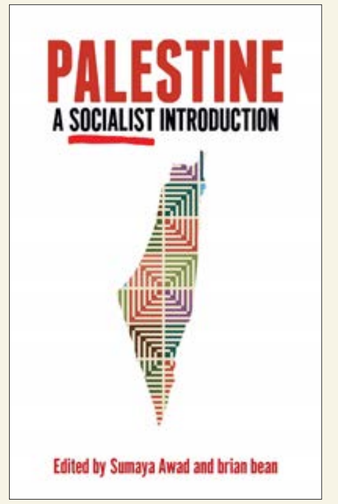

عملية السلام امتداد لمخالب الليبرالية الجديدة

الجزء الثاني «الطريق إلى القدس يمر بالقاهرة» يضم أيضاً ثلاثة فصول، لكنه يركز على نحو أكبر على الخطوط العريضة الحالية للنضال من أجل التحرر الفلسطيني، مع الأخذ في الحسبان مختلف اللاعبين اليوم، بدءاً من تاريخ ما يسمى عملية السلام باعتبارها امتداداً لمخالب الليبرالية الجديدة. كما يشرح هذا القسم سبب استبعاد أي دور تحرري (مزعوم) للطبقة الإسرائيلية العاملة المرتبطة عضوياً بالمشروع الاستعماري-الاستيطاني الصهيوني، رغم إصرار المشاركين في المؤلف على التضامن العالمي للطبقة العاملة باعتباره الطريق الوحيد للحرية. أخيراً، ينظر المشاركون إلى الكيفية التي شكّل بها المسار الثوري المتعرج باستمرار للربيع العربي لحظة النضال الحالية.

القسم الثالث «يا عمال العالم اتحدوا» يسلط الضوء على الديناميكية الهامة للتضامن العالمي. أولاً، حركة المقاطعة وعلاقتها بتغيّر المد في النضال. ثانياً، العلاقة التاريخية بين النضال من أجل فلسطين ونضال تحرير البشر الملوّنين في الولايات المتحدة. ثالثاً، الديناميكية المتداخلة للنوع الاجتماعي ومفاهيم النسوية داخل فلسطين وخارجها.

الاستنتاج يجمع تلك هذه الخيوط لإثبات الحاجة إلى ربط تحرير فلسطين بالنضال ضد الإمبريالية والرأسمالية العالمية، سواء في تشخيص الوضع أو في وصفة الحرية. كتاب ثمين لمن يرغب في الانضمام إلى النضال من أجل تحرير فلسطين وإقامة دولة فلسطين الديمقراطية العلمانية مكان الكيان الاستعماري-الاستيطاني الصهيوني والمشاركة في صنع مستقبل أفضل للإقليم وأهله.

* Palestine: A Socialist Introduction-Haymarket Books - 2020

جندر

#MeToo... من الأصل الأفروأميركيّ إلى العالم

اعتماد مجلس النواب اللبناني قانون تجريم التحرّش الجنسي وتأهيل ضحاياه، مناسب لعرض ما وصلت إليه حركة #MeToo على مختلف الصُّعد التاريخية والسوسيولوجية وتأثيراتها في مناهج عديدة منها العلوم السياسية والقانون والآداب والفلسفة، بما يثير اهتمامات النسويات والباحثات الجندريات وصانعي السياسات في مختلف بقاع العالم. كتاب «جامع القول في سياسات حركة #MeToo» (روتلدج، 2020، تحرير جيتي شاندرا وايرما ايرلينغسدوتر) واحد من عدة كتب نُشرت منذ اندلاع حركة «مي تو»، علماً بأن أول من استخدم هذا التعبير المقولب (catch phrase) جهاراً، كانت العاملة الاجتماعية الأفرو-أميركية تارانا برك في عام 2006 لتأكيد الأبعاد الوبائية للعنف الجنسي داخل المجتمعات الملوّنة. علماً بأنها هي نفسها كانت ضحية الاعتداءات الجنسية عندما كانت طفلة، اختارت هذا التعبير لأنه الوحيد الذي خطر لها عندما شكت لها فتاة بأنها تعرّضت للاغتصاب.

المحزن في الأمر أن هذا التعبير المقولب لم ينتشر في الغرب إلا بعدما استعملته امرأة بيضاء البشرة هي الممثلة الإيطالية أليسا ميلانو بعد أكثر من عقد من الزمن، وتحديداً في عام 2017، بما يعكس على نحو فاقع كم النفاق الاجتماعي المرافق لهذا التعبير وللحركة على نحو عام. فالصحافة (البيضاء) في الغرب لم تتبنَّ المادة إلا بعدما انتشرت جندرياً على يد الممثلة الإيطالية الشهيرة بعدما استخدمتها على شكل تغريدة انضمت إليها نحو نصف مليون امرأة فوراً تحدثن عن تجاربهن المريرة مع الرجال الذكوريين، لكنها اعترفت لاحقاً بأنها لم تكن تعرف بالأصول الأفرو-أميركية للتعبير عندما استعملته.

المقصود هنا القول إن تلك الصحافة لم تكشف المسألة وتفضح بعض المعتدين على النساء أو المجرمين بحقهن.

النفاق الاجتماعي الآخر الذي تفضحه هذه الحملة هو تغاضي المجتمع عنها، مع أن أي شخص عاش في الغرب وكان له حتى أدنى حد من التواصل مع النساء كان يعلم بمدى انتشار تلك الجائحة التي تعبر عن مرض اجتماعي، بل جائحة اجتماعية وجب التصدي لها، ويتحدثون عن صحافة استقصائية في الغرب!!

لقد اخترت هذا المؤلف للعرض أيضاً لأنه أحدث ما صدر عن المادة وكذلك لأنه يغطي الجوانب النظرية والتطبيقية، وأيضاً لأنه يتعامل مع التحرش الجنسي في الفضاء العربي.

محرّرتا المؤلف قالتا: «لأن أي مناقشة لهذا المجال تحتاج إلى تناولها من اتجاهات ومنظورات عدة من حيث الموضوعات والمناقشات، فقد جزّأنا فصول المؤلف إلى ثلاثة أجزاء عامة».

يحوي الأول تسعة فصول نظرية تبدأها المناضلة الأفرو-أميركية المعروفة عالمياً أنجيلا ديفيس التي تتأمل في طبيعة النضال النسوي واحتياجاته، ثم فصول عن طبيعة الثورات، ومن بعد تحليل القوى العالمية والقانونية النشطة في الحركة، ومناقشة المعاني المتعددة الأوجه للموافقة (consent)، ثم مكانة الذكورة في الحركة، ويلي ذلك التركيز على مفهوم الإعوار (vulnerabiltiy)، ثم دراسة العلاقة بين المجهولية والشخصية (anonymity and personhood)، ومن بعد مناقشة إسكات مقاومة النظام الأبوي، وأخيراً تحليل نقاط القوة والانقسامات في النسويات الأفريقية.

فصول الجزء الثاني الثمانية تبحث في الأطر النظرية ضمن سياقات متميزة: السيكولوجيا والصدمات المصاحبة لتسمية الجرائم والجناة في حركة #MeToo، ويلي ذلك مكان الناجي في سياسة الثورة في سياقات ما بعد الاستعمار والكنيسة. يتتبع الفصل التالي الحركة من النظرية إلى التطبيق العملي، ومن بعده إعادة نشر مدونة جاك هالبرستام هنا كفصل عن التناسق غير المتجانس للحركة في سياقات محددة (التوجه الجنسي والتعبير عن الهوية الجنسية / Sexual Orientation and Gender Identity Expression، SOGIE)، وهناك فصل خاص عن محاكمة هارفي وينشتاين وتبع ذلك فصل عن إيجاد حلول للتحرش في مكان العمل في فترة ما بعد #MeToo، ثم فهم المرأة من ذوي الحاجات الخاصة كونها تثير المتاعب بين مثيري الشغب، وأخيراً مناقشة الغرق والنشاط الجنسي في موضوع ما بعد الاستعمار في المملكة المتحدة.

يبدأ الجزء الثالث بالمسح الشامل للطرق التي سارت بها الحركة على مستوى العالم، ويمتد إلى فصول عن فرنسا وبولندا وروسيا ورومانيا والصين واليابان ودول شرق المتوسط وجنوبه وكينيا ودول أفريقية أخرى والأرجنتين ودول أخرى في أميركا الجنوبية والمكسيك والسويد. المسح الدولي هذا يناقش أخيراً إيسلندا ويختم بأهمية التضامن.

مقدمة العمل تقول: «لقد حاولنا تضمين تنسيقات متنوعة للكتابة، من الخطب والمدونات وروايات الناجين، إلى حسابات الصحافيين، إضافة إلى المقالات الأكاديمية بالطبع. لقد حاولنا إيجاد مكان حتى للصمت، سواء كان مقصوداً أو مفروضاً. نشعر أن هذا يتماشى مع طبيعة الحركة التي تعبّر عن نفسها بأي شكل كان أو بأي شكل تجده ضرورياً وفعّالاً في أي نقطة زمنية معينة أو مفترق ظرفية، والتي تغذيها أنماط الكلام والكتابة التي هي أيضاً أشكال من النشاط. كما ندرك أيضاً أنه من منظور الغالبية العظمى من الأشخاص من الأجناس جميعها الذين أنشأوا حركة #MeToo بأصواتهم المكتوبة والمنطوقة والأداء، ونشاطهم ودعمهم بطرق مختلفة، فقد جاء الجزء الأكبر من قاعدة معارفهم من مصادر غير مطبوعة وغير أكاديمية. لقد حاولنا تجميع هذا المورد في الاعتراف بهذه الطرق المتباينة لإنتاج المعرفة ونشرها. لقد قيل: من المستحيل سدّ تيار من أجل دراسة حركته، لكننا نشعر أنه بفتح البوابات لأنماط مختلفة من التعبير، قطعنا شوطاً صغيراً نحو تحقيق هذه الاستحالة».

نحن نرى هذا المؤلف الدليل على أنه عمل قيد التقدم، مثل حركة #MeToo نفسها. لكن هناك الكثير ما لم تتم تغطيته هنا: الطاقة النارية للموسيقى والشعر والفن التي ألهمتها الحركة والتي ألهمت الحركة. أخيراً، في ظننا أن الفصول السابقة توفّر خريطة طريق مؤقتة لمزيد من البحث والعمل في المجالات التي تمّ التطرق إليها.

* The Routledge Handbook of the Politics of the #MeToo Movement-Routledge 2020

تناول أنجيلا ديفيس في طبيعة النضال النسوي واحتياجاته

السّنيّة

عاصم المصري... في اللغة العربيّة وشقيقاتها

بعد انقضاء عام على رحيل الكاتب والأديب والمفكّر ورجل الأعمال عاصم المصري، يعود إلى محبيه وقراء أعماله في عمل فكري جديد حرصت عائلته، سوسن المصري ومزنة المصري والدكتور غسان المصري، على نشر ما ترك من إرث فكري مهم، رغم جائحة الكورونا التي تجتاح لبنان، كان قد أعدّه للنشر قبل رحيله المحزن. طبعاً لا ننسى رفيقته الفنانة فطام مراد التي حرص الكاتب على التنويه إليها ووقوفها إلى جانبه في هذا العمل وكونها من ضمن من كان له إسهام من قريب أو بعيد فيه.

«المُختَلِف المؤتَلِف بين الألسن الشقيقة» (إصدار خاص، ب، 644 صفحة. توزيع: الفرات للتوزيع والنشر/ لبنان)، شركة دار الوَرّاق للنشر/ لبنان، لندن، بغداد) هو إكمال لأعماله السابقة في اللغة العربية وشقيقاتها. يضم الكتاب 29 باباً، بعدد أحرف اللغة العربية بدءاً من الهمزة إلى الإلف والباء، وتأتي بعد الإهداء، وجريدة عناوين محتوى البحث، والدرب، وتمهيد، وعتبة التمهيد، وخطوات البحث، ومراكب العبور، والمبادئ التي تحكم البحث، وتحفّظ ولفت نظر، والمختلف والمؤتلف. عناوين محتوى البحث الأولى تشي فوراً بأن ما ينتظر القارئ حوار من صنف مختلف، نادر في أيامنا هذه.

يقول المؤلف: «الدرب» يعني أنه أمكن للكاتب الآن، بعد ثبوت وحدة النظام اللغوي، متابعة العبور منه إلى «الحظيرة»، وفشل كل منهم في القيام بذلك.

عندما دخل ريتشارد نيكسون، الرئيس الأميركي السادس الذي واجه ديغول، البيت الأبيض في كانون الثاني (يناير) عام 1969، أصبح الرئيس التنفيذي الأميركي الوحيد الذي يطور وجهة نظر محترمة وحتى مدح للرئيس الفرنسي. لكن هذا التحول الملحوظ توقف عندما استقال ديغول بعد أربعة أشهر.

ولا ننسَ، نحن العرب، مواقف الجنرال ديغول من الجزائر واعترافه بحقها في الاستقلال، إضافة إلى إدانته العدوان الإمبريالي-الصهيوني عام 67، ومواقف دولية علنية أخرى ميزت فرنسا عن حلفائها في الغرب، منها الاعتراف بالصين الشعبية وإقامة علاقات دبلوماسية معها، وإدانة العدوان الأميركي في فيتنام. كتاب مثير يذكّرنا بمحطات مهمة في العلاقات الدولية وعلاقات فرنسا بالمحيط العربي.

أخيراً، من المفيد التنويه إلى أن الكاتب أستاذ فخري في «كلية فريدريك باردي للدراسات العالمية» في جامعة بوسطن، وأن الحكومة الفرنسية منحته وسام فارس الاستحقاق الوطني، وشغل منصب رئيس «جمعية الدراسات التاريخية الفرنسية».

Charles de Gaulle: A Thorn in the Side of Six American Presidents - Rowman & Littlefield Publishers 2021

ويليام آر كيلر: شارل ديغول الذي أرّق أميركا

الجنرال شارل ديغول شخصية فذّة مارست دوراً رئيساً في صياغة فرنسا ما بعد الحرب العالمية الثانية. فهو الذي قاد المقاومة ضد الاحتلال بإعلانه قيام فرنسا الحرة بعد فضيحة الاستسلام عام 1940، وهو الذي تمكّن من فرض الاعتراف بفرنسا عضواً دائماً في مجلس الأمن الدولي، وقاد بلاده لتكون قوة نووية مستقلة وغير ذلك من الإنجازات المهمة الأخرى. والرئيس ديغول انتشل بلاده من فضيحة الهزيمة المنكرة التي لحقت بها عندما سقطت باريس أمام الجيش الألماني من دون مقاومة، مع أنها هي الطرف الذي أعلن، مع بريطانيا، الحرب على ألمانيا في عام 1939 وقامت قواتها باحتلال أراضي ألمانية من دون رد فعل من جانب برلين، ثم انسحبت منها بهدوء تام!

ديغول لم يكن سياسياً بل كان زعيماً قومياً فرنسياً فخوراً ببلاده وبفرنسيته، وهو ما كان يسبّب له متاعب مع حلفائه. نبدأ بمشاكله مع الرئيس الأميركي روزفلت المتحالف عضوياً مع بريطانيا، الذي كان يقاوم محاولات الرئيس ديغول استعادة بلاده مكانتها المرموقة في النظام العالمي الذي سبق الحرب. فروزفلت كان يريد أن تكون أوروبا بأكملها تابعة لواشنطن، أي مثل بريطانيا، كما كان يريدها أن تستنسخ النظام السياسي الأميركي، وهو ما رفضه ديغول.

صدام ديغول مع هنري ترومان ناتج ـ وفق كتاب «شارل ديغول: شوكة في خاصرة ستة رؤساء أميركيين» (منشورات رومان أند ليتلفيلد ، 2021) لويليام آر كيلر ـ من المعوقات التي وضعها الأول أمام هيمنة واشنطن إبان الحرب البادرة. لكن الرئيس الأميركي كان منزعجاً أصلاً من الفرنسيين إبان زيارته بلادهم بعد الحرب العالمية الأولى، ورأيه بأنه وجدت مراقص ليلية كثيرة في فرنسا دوماً وفق المؤلف، طبعاً. أنزعاج ترومان من ديغول جعله يستبعده من جلسات مؤتمر بوتسدام.

علاقة الجنرال ديغول بالجنرال دوايت أيزنهاور كانت عملية وناتجة من علاقة القائدين العسكريين إبان الحرب وتعاونهما فيها ضد العدو الألماني. وثمة سبب آخر لتلك العلاقة العملية هو تأييد الجنرال أيزنهاور لرغبة فرنسا الديغولية في امتلاك القدرات النووية القومية، وهذا ما اعترض عليه رئيس الوزراء البريطاني هَرُولد مَكْمِلَن.

وجد الرؤساء دوايت أيزنهاور وجون كينيدي ولندن جنسن أن الرئيس ديغول يشكل تحدياً لقيادتهم للتحالف الغربي، رغم أنه لم يهدد أبداً بإحداث انفصال بين الحلفاء القدامى، إلا أنه كان يمثل عقبة دائمة أمام جهودهم لتعبئة العالم غير الشيوعي لمواجهة الاتحاد السوفياتي وحلفائه تحت القيادة المطلقة للولايات المتحدة. أثارت حملته المستمرة لفصل فرنسا عن تحالف شمال الأطلسي، الذي يهيمن عليه الأميركيون، احتمال تحوّل النظام الدولي الثنائي القطب بعد الحرب إلى نظام دولي متعدد الأقطاب، مع ما كان يأمله بأن تكون أوروبا الغربية التي يهيمن عليها الفرنسيون وتؤكد استقلالها عن واشنطن. انتقاده اللاذع للمغامرة العسكرية الأميركية الإجرامية في فيتنام ودعوته لإجراء مفاوضات مع الحكومة الفيتنامية الشمالية، في عهد كينيدي أولاً، ثم في عهد جُنسُن، ولّدا ردود نوايا سيئة هائلة في واشنطن. لقد كان الحليف الوحيد لواشنطن في الناتو الذي انفصل علناً عن الولايات المتحدة بشأن هذه القضية. لقد سعى أولئك الرؤساء التنفيذيون الأميركيون الثلاثة إلى جذب فرنسا الديغولية للعودة إلى

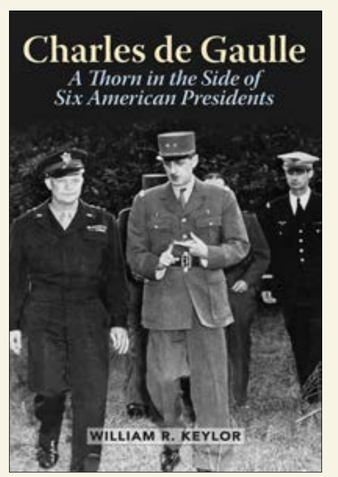

اعترف بحقّ الجزائر في الاستقلال وادان عدوان الـ 67

لغة تفكير حملت هذا التراث، وإن بالسن بدت أحياناً مختلفة في الشكل

أما في «دلالة بعض الألفاظ»، فيفترض الاستناد إلى ما تقدم في مؤلفات الكاتب السابقة ذات الصلة لأن امتلاك المفاتيح التي أتى عليها حاجة ضرورة لعبور أبواب هذا المؤلف وردّ دلالات بعض الألفاظ إلى المعاني الذاتية، أي: الحركية والجدلية والقصدية، ومن ذلك لفظة «عرب».

دواعي البحث وحوافز الكاتب تُجبره على الخضوع إلى الحيادية والموضوعية العِلمية، خشية أن يكون صدى وردّ فعل لما ينكره ويستنكره، لكن من دون إنكار أن حوافزه قومية الهوى.

يقول الكاتب في الخلاصة: «يفترض عدم النظر إلى ما ورد في هذا البحث على أنه نهائي، بل يستوجب متابعة حثيثة لاستخراج النتائج التي تقوّم المعلومات، وفقاً لما يستجد من معطيات، تسارع وتساهم في فكّ أسر ما تراكم في بعض المتاحف العالمية من آثار ولقى يكمن في معرفتها كشف كثير من أسرار إقليمنا الممتد من المحيط إلى الخليج». ويوضح أيضاً أن هذا المؤلف دعوة لتجديد اللغة بما تقوله وعدم حصرها في أطر سياسية ومذهبية، وإلا يتوقف التفاعل بين جدل الفكر وجدل اللغة لمواكبة مستجدات المعرفة والعلم.

أخيراً، يؤكد الكاتب في ختام بحثه أنه ليس في هذا الإقليم عدة لغات بل لغة واحدة اتخذت في مراحل تطورها الممتدة لآلاف السنين والمتسعة انتشاراً تمايزاً بين ألسن مجتمعاتها، بحكم الهجرات والاختلاط والتطور وبُعد المسافات. لذلك، يُفترض في علم الدلالة اللغوية أن يعيد النظر في مبادئه ومنطلقاتها بأن يعمد إلى إدخال معاني مسميات حروف الأبجدية ونسق ترتيبها ودلالة حركاتها الإعرابية في أولويات أعمدة الدلالة والإبانة اللغوية وخاصة في علم الدلالة السياقي، ويتوجب الأخذ في الاعتبار أن أساس الاشتقاق هو الثنائي المحكوم لجدلية التناقض.

أوراق

الجمل والحيّة

زكريا محمد *

ما زال أمر الجمل في الميثولوجيا العربية غير مبحوث بشكل جيد. أي ما زال معناه الميثولوجي غير واضح المعالم حتى الآن. وكنت قد اقترحت في أكثر من مداخلة لي أن الجمل تجسيد لسهيل النجم- الإله ورمز له. وقلت إنه لهذا السبب يدعى سهيل اليماني بـ «الفحل»، أي الجمل الذكر: «العرب تسمي سهيلاً الفَحل، تشبيهاً له بفحل الإبل» (لسان العرب). يضيف الزمخشري: «يقال: أما ترى الفحل كيف يزهر [يبتعد وينفرد]؟ يراد سهيل. شبّهه في اعتزاله الكواكب بالفحل إذا اعتزل الشّول [النوق] بعد ضرابه [وصاله الجنسي]. قال ذو الرمة: وقد لاح للساري سهيل كأنه/ قريع هجانٍ عارضٍ الشّول جافر» (أساس البلاغة). والحق أن الأمر لا يتعلق بالتشبيه بل يتعلق بأنّ سهيلاً يتمثل بجمل بالفعل.

كما أنني كنت اقترحت أيضاً، واستناداً إلى بيت شعر لعدي بن زيد، أن الجمل يمثل النقيض الميثولوجي للحية، أو قل يمثل الوجه المعاكس للحية. يقول البيت:

فكانت الحية الرقشاء إذ خلقت
كما ترى ناقة في الخلق أو جملا.

وهكذا فقد كانت الحية جملاً في وقت ما. يقول الجاحظ عن بيت عدي وقصيدته: «فإن قُلْتَ: إنَّ أميّة [ابن الصلت] كانَ أعرابيّاً، وكان بَدَويّاً، وهذا من خرافاتِ أَعْرَاب الجاهليَّة، وزعمت أنّ أُمَيّة لم يأخذ ذلك عن أهْل الكتاب فإني سأُنْشِدُك لعدِيِّ بنِ زيدٍ، وكان نصرانيّاً ديناً، وتَرْجُمَاناً، وصاحبَ كتب، وكان من دُهاةِ أهل ذلك الدَّهر. قالَ عديُّ بن زيدٍ، يذكرُ شأن آدم ومعصيته، وكيف أغواه، وكيف دخل في الحية، وأنّ الحَية كانت في صورة جَمَلٍ فمسخها اللّهُ عقوبة لها، حين طاوعت عَدُوَّه على وليِّه، فقال:

....
فكانت الحية الرقشاء إذ خلقت ...
كما ترى ناقة في الخلق أو جملا
....
فلاطها الله إذ أغوت خلقت ...
طول الليالي ولم يجعل لها أجلا
تمشي على بطنها في الدهر ما عمرت...
والترب تأكله حزناً وإن سهلا» (الجاحظ، الحيوان).

إذن، فقد كانت الحية عند خلقها ناقة أو جملاً، لكنها مُسخت حية حين أغوت آدم. والسؤال: لماذا يُمسخ الجمل إلى حية بالذات؟ ولِم لم يمسخ إلى شيء آخر؟ والجواب هو أن الجمل والحية قرينان يمثلان رمزياً وجهَي الكون المتعاكسين، وهما ينقلبان عند لحظة معينة. فالجمل يتحول في لحظة إلى حية، كما أن الحية تتحول إلى جمل في لحظة أخرى. أو قل إن الكون- الإله يكون في فصل محدد جملاً ثم يتحول إلى حية في فصل آخر. أي أننا مع تحول ومع تعاقب فصول، لا مع انمساخات.

وانطلاقاً من هذه الفرضية فقد فُسرت بشكل مختلف جذرياً الآية القرآنية التي تتحدث عن ولوج الجمل في سمّ الخياط: «إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخِيَاط» (الأعراف: 40). والتفسير السائد لجملة «حتى يلج الجمل في سَمِّ الخِيَاط» يقول: «حتى يدخل الجمل في ثقب الإبرة». أما أنا فقد قلت إن «الخياط» هي الحية، وإنّ «سمّ الخياط» يعني ثقب الحية الذي تختبئ فيه في بياتها الشتوي. بالتالي، فالآية لا تعني الاستحالة، بل تعني العودة إلى الزمن الذي ينقلب فيه الجمل إلى حية. أي تعني العودة إلى الزمن الذي كانت فيه الحية جملاً. بذا فالذين كفروا لن تفتح لهم أبواب السموات إلى أن يعود الكون إلى هيئته الأولى حين كانت الحية جملاً. أي أن الآية على علاقة مباشرة تقريباً ببيت عدي بن زيد.

قطعة أثرية تعرض لنا قصة الجمل والحية

والآن، يبدو أنني عثرت على دليل ملموس على ما استنتجته من قبل استنتاجاً. ففي أحد المواقع المختصّة لعارضي اللقى الأثرية والباحثين عن الذهب على كرة صغيرة منحوتة، تبدو حجرية، تُصور جملاً على أحد وجهيها، وحية على الوجه الآخر

وهذا يعني أنها تصور مشهد اقتران الحية بالجمل كما عرضه لنا بيت عدي، وكما أشارت إليه آية سورة الأعراف. فالكون دائرة تدور فتظهر الجمل أمامنا، ثم تدور فتظهر الحية. فهما رمز لوجهي الكون وفصليه المركزيين. يؤيد هذا أنّ القطعة ترينا في أعلاها، أي بين الجمل والحية، شكلاً مكوّناً من ثلاثة ثقوب: واحد كبير الحجم، وواحد متوسط، والثالث صغير.

هذا الشكل يمثل في ظني ثلاث نجوم سماوية، مرتبطة بالتقويم. أي أنها تشير إلى الانقلابات الفصلية ومواعيدها. وتقديري أن هذه النجوم الثلاث هي «نجوم الهقعة» الثلاث، التي تدعى أيضاً «رأس الجوزاء». كما أنها تسمى «الجوزاء الأولى». وهذه النجوم تطلع، من بعد غياب، حوالى منتصف أيار. وطلوعها هو بدء الصيف والحر عند القدماء. وحين تطلع، تنتهي رحلة النجعة التي تبدأ في أواخر أيلول، ويعود البداة إلى المحاضر، أي إلى مناطق المياه الدائمة. قال الساجع: «إذا طلعت الهقعة أدرستِ الفقعة، وتقوض الناس للقلعة، ورجعوا عن النجعة».

نجوم الهقعة الثلاث بالأحمر

بالتالي، فنحن مع قطعة ذات طابع روزنامي، تحدد النجوم المسؤولة عن الانقلابات الفصلية، وتخبرنا أن بدء سنتها يكون مع طلوع الهقعة، أي بداية الصيف الفعلي، لا الصيف الرسمي الذي نعرفه في نهاية حزيران. فالصيف الذي يبدأ في حزيران هو فصل القيظ عند العرب القدماء، أي فصل الحر الشديد. وإذا صحّ هذا، فهذه قطعة ثمينة تعرض لنا الفلسفة الكونية عند القدماء.

على كل حال، فالحية تتماهى ميثولوجياً مع الحمار. لهذا دخلت الحية إلى سفينة نوح من دبر الحمار. بالتالي، يكون لدينا عملياً الجمل والحمار كوجهين رمزيين للكون. وفي العدد القادم سوف أكتب إن تمكنت عن نبوة راكب الجمل ونبوة راكب الحمار. فقد جاء في سفر أشعيا: «فَرَأَى رُكَّابًا أَزْوَاجَ فُرْسَانٍ. رُكَّابَ حَمِيرٍ. رُكَّابَ جِمَال» (أشعيا 7:21).

* شاعر فلسطيني